قواعد

التدرج في الدعوة

تأليف
فضيلة الشيخ
حذيفة بن حسين القحطاني
مسؤول إفتاء محافظة صلاح الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الدعاة إلى الله، أيها الساعون إلى هداية الخلق، أيها الوارثون ميراث النبوة، سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركات.

إن الدعوة إلى الله تعالى هي أشرفُ المهمات، وأجلُّ الطاعات، وبها صلاحُ العبادِ والبلادِ، ونجاةُ الخلقِ في الدنيا والآخرةِ. ولكنّ هذه المهمةَ الجليلةَ تحتاجُ إلى فقهٍ وبصيرةٍ، وحكمةٍ ورويّةٍ، ومن أهمِّ ما ينبغي على الداعيةِ أن يتعلَّمَهُ ويُتقِنَهُ: قواعدُ التدرجِ في الدعوةِ.

فالتدرجُ سُنّةٌ ربانيةٌ، ومنهجٌ نبويٌّ، بهِ تُفتحُ القلوبُ، وتُستجابُ الدعواتُ، وتُثمرُ الجهودُ. فكما أنّ اللهَ تعالى خلقَ الإنسانَ في أطوارٍ، وأنزلَ القرآنَ مُنجّمًا، كذلكَ ينبغي أن تكونَ الدعوةُ مُتدرجةً، تُراعي أحوالَ المدعوينَ، وتُخاطبُ عقولَهم وقلوبَهم بما يُناسبُهم.

من هنا، جاءت فكرةُ هذا الكتابِ، "**قواعدُ التدرجِ في الدعوةِ الإسلاميةِ**"، ليُقدِّمَ للداعيةِ إطارًا منهجيًا، وقواعدَ وضوابطَ، تُعينُهُ على فهمِ هذا المفهومِ وتطبيقِهِ في دعوتِهِ.

في هذا الكتابِ، سنتناولُ – بعونِ اللهِ وتوفيقِهِ – المواضيعَ التاليةَ:

- **مفهومُ التدرجِ في الدعوةِ:** تعريفُهُ، وأهميتُهُ، وأصولُهُ في الكتابِ والسنةِ.
- **مجالاتُ التدرجِ في الدعوةِ:** التدرجُ في الموضوعاتِ، والتدرجُ في الأساليبِ، والتدرجُ في المخاطبةِ.
- **ضوابطُ التدرجِ في الدعوةِ:** شروطُهُ، ومُقتضياتُهُ، وما يجوزُ فيهِ وما لا يجوزُ.
- **نماذجُ من التدرجِ في الدعوةِ:** من سيرةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وسيرِ الصحابةِ والتابعينَ.
- **تطبيقاتٌ عمليةٌ للتدرجِ في الدعوةِ:** في مُختلفِ المجالاتِ والمُستوياتِ.

نسألُ اللهَ تعالى أن يجعلَ هذا الكتابَ نافعًا، وأن يُعينَ بهِ الدعاةَ على أداءِ رسالتِهم على الوجهِ الأكملِ، وأن يجعلهُ خالصًا لوجهِهِ الكريمِ، وأن ينفعَ بهِ كُلّ من قرأهُ أو عملَ بهِ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نبيّنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين.

أهمية موضوع التدرج في الدعوة الإسلامية

إنّ موضوع التدرج في الدعوة الإسلامية يكتسب أهمية بالغة لأسباب عديدة، تتصل بجوهر الدين الإسلامي وطبيعته، وبواقع الناس وأحوالهم، وبنجاح الدعوة وانتشارها. ويمكن تلخيص هذه الأهمية في النقاط التالية:

- **موافقة سنة الله في الكون والخلق:** فالله سبحانه وتعالى خلق الكون والإنسان في مراحل متدرجة، ولم يخلق كل شيء دفعة واحدة. فخلق الإنسان مر بمراحل جنينية ثم طفولة ثم شباب ثم كهولة ثم شيخوخة. وكذلك نزول القرآن الكريم كان منجماً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، لحكمة بالغة، ليثبت قلوب المؤمنين ويسهل حفظه وفهمه وتطبيقه. فالتدرج في الدعوة هو اتباع لسنة الله في خلقه.

- **موافقة منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة:** لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم خيرَ مُبلّغٍ عن الله، وقد اتّبع أسلوب التدرج في دعوته، فبدأ بدعوة الناس إلى التوحيد، وهو الأصل الأعظم، ثم تدرج في تشريع الأحكام والعبادات. فمثلاً، لم تُفرض الصلاةُ دفعةً واحدةً، بل كانت في بدايتها ركعتين، ثم فُرضت الصلوات الخمس. وكذلك تحريم الخمر لم يكن دفعة واحدة، بل جاء على مراحل. فالتدرج هو اتباع لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

- **مراعاة أحوال المدعوين وقدراتهم:** إنّ الناسَ ليسوا على درجة واحدة من الفهم والاستعداد والالتزام. فمنهم المُعرِض، ومنهم المُتردّد، ومنهم المُستجيب. فالتدرج يُتيح للداعية أن يُخاطب كلّ فئة بما يُناسبها،

وأن يُقدّم لها الدينَ بطريقةٍ مُيسّرةٍ ومُناسبةٍ لقدراتها واستعدادها. فالبدء بالأهم ثم المهم، وبالأسهل ثم الأصعب، وبالأقرب إلى الفهم ثم ما يحتاج إلى تفصيل وشرح.

- **تيسير قبول الدعوة واستمرارها:** إنّ التدرج يُساعد على تيسير قبول الدعوة من قبل المدعوين، لأنّه لا يُحمّلهم ما لا يُطيقون، بل يأخذ بهم خطوة خطوة نحو الالتزام الكامل. كما أنّه يُساعد على استمرار الدعوة وثباتها، لأنّ التغيير التدريجي يكون أثبت وأرسخ من التغيير المفاجئ.

- **تجنب النفور والصد عن الدين:** إنّ الدعوة المُفاجئة التي تُحمّل الناسَ تكاليفَ كثيرةً دفعةً واحدةً قد تُؤدّي إلى نفورهم وصدهم عن الدين. بينما الدعوة المتدرجة تُراعي مشاعر المدعوين وقدراتهم، وتُجنّبهم الشعور بالثقل أو الإكراه.

- **تحقيق الثبات والرسوخ في الدين:** إنّ الالتزام التدريجي بالأحكام والعبادات يُساعد على ترسيخ الإيمان في القلب، ويُحقّق الثبات على الدين. فكلّما التزم الإنسانُ بشيءٍ جديدٍ، ازدادَ إيمانُهُ وقويتْ عزيمتُهُ على الاستمرار.

- **الوصول إلى الكمال المنشود:** إنّ الدين الإسلامي دينٌ كاملٌ شاملٌ، والتدرج يُساعد على الوصول إلى هذا الكمال شيئاً فشيئاً، من خلال البدء بالأصول ثم الفروع، وبالأهم ثم المهم.

- **معالجة المشاكل والظواهر السلبية بشكل فعّال:** عند معالجة المشاكل الاجتماعية أو الظواهر السلبية، فإنّ التدرج يكون أكثر فعالية من المواجهة الصدامية. فالتدرج يُتيح للداعية أن يُقنع الناسَ بخطأ هذه الظواهر، وأن يُقدّم لهم البدائلَ المُناسبةَ، وأن يُساعدهم على التغيير بشكل تدريجي ومُستدام.

باختصار، فإنّ التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ليس مجرد أسلوب دعوي، بل هو منهج رباني وهدي نبوي، يهدف إلى تيسير قبول الدين وتطبيقه في الواقع، وتحقيق الثبات والرسوخ فيه، والوصول إلى الكمال المنشود. وهو ضرورة لكل داعية يسعى إلى هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

أتمنى أن يكون هذا الشرح مُفصّلاً وواضحاً، ويُبيّن أهمية موضوع التدرج في الدعوة الإسلامية.

أهداف البحث في موضوع التدرج في الدعوة الإسلامية

يهدف البحث في موضوع التدرج في الدعوة الإسلامية إلى تحقيق جملة من الأهداف المهمة، التي تصب جميعها في خدمة الدعوة الإسلامية وإيصالها إلى الناس بأفضل الطرق والأساليب. ويمكن تلخيص هذه الأهداف فيما يلي:

١. **بيان مفهوم التدرج في الدعوة وتحديده:** يهدف البحث إلى وضع تعريف واضح ومحدد لمفهوم التدرج في الدعوة، يميزه عن غيره من

المفاهيم الدعوية الأخرى، كالتغيير المفاجئ أو الإكراه. وذلك من خلال الرجوع إلى المصادر الشرعية واستقراء أقوال العلماء.

٢. **إبراز أهمية التدرج في الدعوة وضرورته:** يهدف البحث إلى إظهار الأهمية الكبرى التي يكتسبها التدرج في نجاح الدعوة وانتشارها، وذلك من خلال بيان موافقته لسنة الله في الكون والخلق، ولسنة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، ولمقتضيات الواقع وأحوال المدعوين.

٣. **تأصيل مبدأ التدرج في الدعوة من الكتاب والسنة:** يهدف البحث إلى استخراج الأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية التي تؤصل لمبدأ التدرج في الدعوة، وتثبت مشروعيته وأهميته. وذلك من خلال استعراض الآيات والأحاديث التي تتناول هذا المفهوم بشكل مباشر أو غير مباشر.

٤. **توضيح مجالات التدرج في الدعوة وأنواعه:** يهدف البحث إلى بيان المجالات المختلفة التي يمكن أن يطبق فيها التدرج في الدعوة، كالتدرج في الموضوعات التي تُطرح على المدعوين، والتدرج في الأساليب الدعوية المستخدمة، والتدرج في طريقة مخاطبة المدعوين.

٥. **وضع ضوابط وقواعد للتدرج في الدعوة:** يهدف البحث إلى وضع مجموعة من الضوابط والقواعد الشرعية التي تضبط عملية التدرج في الدعوة، وتمنع الانحراف بها عن مسارها الصحيح. وذلك من خلال بيان الشروط التي يجب أن تتوفر في التدرج، والمقتضيات التي يجب مراعاتها، وما يجوز فيه وما لا يجوز.

٦. **استعراض نماذج تطبيقية للتدرج في الدعوة من السيرة النبوية وسير السلف الصالح:** يهدف البحث إلى تقديم أمثلة ونماذج واقعية من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسير الصحابة والتابعين، تُبيّن كيفية تطبيقهم لمبدأ التدرج في دعوتهم، وكيف أثمر ذلك عن نجاح دعوتهم وانتشار الإسلام.

٧. **تقديم تطبيقات عملية للتدرج في الدعوة في الواقع المعاصر:** يهدف البحث إلى تقديم مجموعة من التطبيقات العملية التي يمكن للدعاة استخدامها في دعوتهم في الواقع المعاصر، وذلك في مختلف المجالات والمستويات، مع مراعاة اختلاف أحوال المدعوين وثقافاتهم.

٨. **المساهمة في تطوير العمل الدعوي وتحسين أدائه:** يهدف البحث بشكل عام إلى المساهمة في تطوير العمل الدعوي وتحسين أدائه، من خلال تزويد الدعاة بالمعرفة والمهارات اللازمة لتطبيق مبدأ التدرج في دعوتهم، بما يُحقق أفضل النتائج وأكثرها ثباتاً واستدامة.

٩. **سدّ نقص في المكتبة الإسلامية في هذا الجانب:** يهدف البحث إلى سدّ نقص قد يكون موجوداً في المكتبة الإسلامية في تناول هذا الموضوع بشكل مُفصّل ومُؤصّل، وتقديم مرجع علمي مُفيد للدعاة والباحثين والمهتمين بالدعوة الإسلامية.

باختصار، يهدف البحث في موضوع التدرج في الدعوة الإسلامية إلى فهم هذا المبدأ فهماً صحيحاً وتأصيله شرعاً وتطبيقه واقعاً، بما يُحقق النجاح والتوفيق في الدعوة إلى الله تعالى.

إشكالية البحث في موضوع التدرج في الدعوة الإسلامية

تتمحور إشكالية البحث في موضوع التدرج في الدعوة الإسلامية حول فهم هذا المفهوم وتطبيقه بشكل صحيح وفعال في الواقع المعاصر. فبينما يُعتبر التدرج مبدأً أصيلاً في الدعوة، مستمداً من الكتاب والسنة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن تطبيقه يواجه بعض الإشكاليات والتحديات التي تحتاج إلى بحث ودراسة وتوضيح. ويمكن تلخيص هذه الإشكاليات فيما يلي:

١. **الخلط بين التدرج والتنازل عن الثوابت:** يقع البعض في خلط بين مفهوم التدرج في الدعوة وبين التنازل عن الثوابت والأصول الشرعية بحجة مراعاة أحوال المدعوين. فالتدرج لا يعني أبداً التهاون في أصول الدين أو تحريف معانيه أو تعطيل أحكامه، بل يعني تقديمها بطريقة مُيسّرة ومُناسبة دون المساس بجوهرها.

٢. **صعوبة تحديد معالم التدرج وضوابطه في الواقع المعاصر:** بينما توجد نماذج واضحة للتدرج في السيرة النبوية، إلا أن تطبيقها في الواقع المعاصر يواجه صعوبة في تحديد معالم التدرج وضوابطه بدقة، نظراً لاختلاف الظروف والأحوال وتنوع الثقافات. فما يُعتبر تدرجاً في زمان أو مكان قد لا يكون كذلك في زمان أو مكان آخر.

٣. **تباين فهم الدعاة لمفهوم التدرج وتطبيقه:** يختلف فهم الدعاة لمفهوم التدرج وتطبيقه، مما يُؤدي إلى تباين في أساليبهم الدعوية، وقد يُؤدي ذلك إلى نتائج سلبية، كعدم وضوح الرسالة الدعوية أو نفور المدعوين.

٤. **التحديات التي تفرضها وسائل الإعلام والتواصل الحديثة:** تفرض وسائل الإعلام والتواصل الحديثة تحديات جديدة على الدعوة، حيث أصبح الوصول إلى المعلومات سهلاً وسريعاً، مما يُصعّب عملية التدرج في تقديم المعرفة الشرعية، ويُعرّض المدعوين لكم هائل من المعلومات قد تكون غير دقيقة أو مُضلّلة.

٥. **الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تُحيط بالمدعوين:** تُؤثّر الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تُحيط بالمدعوين على استجابتهم للدعوة، وتُشكّل تحدياً أمام الدعاة في تطبيق مبدأ التدرج، حيث قد تتطلب بعض الظروف تقديم الدعوة بشكل مُكثّف أو مُباشر.

٦. **القصور في الدراسات العلمية المُؤصّلة لمفهوم التدرج:** على الرغم من أهمية موضوع التدرج في الدعوة، إلا أن الدراسات العلمية المُؤصّلة لهذا المفهوم لا تزال قليلة نسبياً، مما يُؤثّر على فهم الدعاة وتطبيقهم لهذا المبدأ.

٧. **الجمع بين التدرج والسرعة في الدعوة:** كيف يُمكن الجمع بين مُقتضى التدرج الذي يتطلب التأني والتروي، وبين مُقتضى السرعة في الدعوة وانتشارها في ظل التحديات المُعاصرة؟ هذه إشكالية تحتاج إلى بحث وتوضيح.

بناء على هذه الإشكاليات، يُمكن طرح الأسئلة البحثية التالية:

- ما هو المفهوم الصحيح للتدرج في الدعوة الإسلامية، وما هي أصوله وضوابطه؟
- كيف يُمكن تطبيق مبدأ التدرج في الدعوة في الواقع المعاصر، مع مراعاة اختلاف الظروف والأحوال؟
- ما هي الأساليب الدعوية المُناسبة لتطبيق التدرج في الدعوة، وكيف يُمكن استخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة في ذلك؟
- كيف يُمكن الجمع بين مُقتضى التدرج ومُقتضى السرعة في الدعوة؟
- ما هي أفضل السبل لتدريب الدعاة على تطبيق مبدأ التدرج في دعوتهم؟

إنّ الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها تُساهم في فهم أعمق لمفهوم التدرج في الدعوة، وتُساعد الدعاة على تطبيقه بشكل صحيح وفعال، بما يُحقق أفضل النتائج وأكثرها ثباتاً واستدامة.

الفصل الأول: مفهوم التدرج في الدعوة الإسلامية

تعريف التدرج:

يُعتبرُ مفهومُ التدرجِ من المفاهيمِ المهمةِ في الدعوةِ الإسلاميةِ، حيثُ يُشكّلُ منهجًا قويمًا وأسلوبًا حكيمًا في إيصالِ الدعوةِ إلى الناسِ. وقبلَ الخوضِ في تفاصيلِ هذا المفهومِ وتطبيقاتِهِ، لا بُدّ من تحديدِ تعريفٍ واضحٍ لهُ.

لغةً:

يأتي التدرجُ في اللغةِ من الفعلِ "دَرَجَ"، وهو يعني الارتقاءَ من شيءٍ إلى شيءٍ آخرَ على سبيلِ التوالي والتتابعِ، والانتقالَ من منزلةٍ إلى منزلةٍ أعلى منها بتأنٍّ ورويّةٍ. يُقالُ: "دَرَجَ الصبيُّ" أي ترقّى في مراحلِ عُمرِهِ، و"دَرَجَ في السُّلَّمِ" أي صعدَ درجةً بعدَ أخرى. ويُقالُ أيضًا: "استدرجَهُ" أي قرّبهُ وأدناهُ على وجهِ التدريجِ.

اصطلاحًا:

يُمكنُ تعريفُ التدرجِ في الدعوةِ اصطلاحًا بأنّهُ:

- التقدمُ بالمدعوِّ شيئًا فشيئًا للبلوغِ بهِ إلى غايةِ ما طُلِبَ منهُ وَفْقَ طُرقٍ مشروعةٍ مخصوصةٍ. أي التقدمُ خطوةً خطوةً، والبَدْءُ بالأهمِّ فالمهمِّ؛ للترقي إلى أعلى المراتب.
- تقديمُ الدينِ للمدعوينَ على مراحلَ مُتتابعةٍ، تبدأُ بالأصولِ ثمّ الفروعِ، وبالأهمِّ ثمّ المهمِّ، وبالأسهلِ ثمّ الأصعبِ، معَ مُراعاةِ أحوالِ المدعوينَ وقدراتِهم واستعداداتِهم.

ويُمكنُ إجمالُ عناصرِ هذا التعريفِ في النقاطِ التاليةِ:

- **التدرجُ يعني التقدمَ خطوةً خطوةً:** وليسَ دفعةً واحدةً.
- **البدءُ بالأهمِّ فالمهمِّ:** أي تقديمُ الأولوياتِ قبلَ غيرِها.
- **مُراعاةُ أحوالِ المدعوينَ وقدراتِهم:** أي مُخاطبةُ كلِّ فئةٍ بما يُناسبُها.
- **استخدامُ طُرقٍ مشروعةٍ:** أي الالتزامُ بأحكامِ الشريعةِ في الدعوةِ.

مفاهيم ذات صلة:

هناك بعضُ المفاهيمِ التي ترتبطُ بمفهومِ التدرجِ، ويجبُ التمييزُ بينَها:

- **التيسير:** وهو تسهيلُ الدعوةِ على المدعوينَ، وعدمُ تحميلِهم ما لا يُطيقون. والتدرجُ يُعتبرُ وسيلةً من وسائلِ التيسيرِ.
- **الرفق:** وهو اللينُ في الدعوةِ، وعدمُ العُنفِ أو الشدةِ. والتدرجُ يُساعدُ على تحقيقِ الرفقِ بالمدعوينَ.
- **الحكمة:** وهي وضعُ الشيءِ في موضعِهِ المُناسبِ. والتدرجُ يُعتبرُ من الحكمةِ في الدعوةِ.
- **التنازل:** وهو التخلي عن شيء من الدين أو تحريفه. وهو مُخالف للتدرج تماماً. فالتدرج لا يعني أبداً التنازل عن الثوابت والأصول.

أهمية تحديد المفهوم:

يُعتبرُ تحديدُ مفهومِ التدرجِ بدقةٍ أمرًا ضروريًا للأسبابِ التاليةِ:

- **الفهم الصحيح:** يُساعدُ على فهمِ هذا المبدأِ فهماً صحيحاً، وتجنُّبَ الخلطِ بينَهُ وبينَ المفاهيمِ الأخرى.
- **التطبيق السليم:** يُساعدُ على تطبيقِ هذا المبدأِ تطبيقاً سليماً في الدعوةِ، وتحقيقِ أفضلِ النتائجِ.
- **تجنب الانحراف:** يُساعدُ على تجنُّبِ الانحرافِ عن المنهجِ الصحيحِ في الدعوةِ، كالوقوعِ في التنازلِ أو التشددِ.

باختصار، يُعتبرُ التدرجُ في الدعوةِ منهجًا قويمًا وأسلوبًا حكيمًا، يهدفُ إلى إيصالِ الدعوةِ إلى الناسِ بطريقةٍ مُيسّرةٍ ومُناسبةٍ، معَ الالتزامِ بأحكامِ الشريعةِ وعدمِ التنازلِ عن الثوابتِ.

أهمية التدرج في الدعوة الإسلامية

يُعدّ التدرج في الدعوة إلى الله تعالى من أهمّ الأسس والمبادئ التي ينبغي على الداعية مراعاتها، فهو ليس مجرد أسلوب دعوي فحسب، بل هو منهج رباني وهدي نبوي، له أهمية بالغة تتجلى في جوانب متعددة، نذكر منها:

١. موافقة سنة الله في الكون والخلق:

لقد خلق الله الكون والإنسان في مراحل متدرجة، ولم يخلق كل شيء دفعة واحدة. فخلق الإنسان يمر بأطوار مختلفة، من نطفة إلى علقة إلى مضغة، ثم طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة. وكذلك نزول القرآن الكريم كان مُنجّمًا على مدى ثلاثة وعشرين عامًا، لحكمة بالغة، ليثبت قلوب المؤمنين ويسهل حفظه وفهمه وتطبيقه. فالتدرج في الدعوة هو اتباع لسنة الله في خلقه وتكوينه.

٢. موافقة منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم خيرَ مُبلّغٍ عن الله، وقد اتّبع أسلوب التدرج في دعوته، فبدأ بدعوة الناس إلى التوحيد، وهو الأصل الأعظم، ثم تدرج في تشريع الأحكام والعبادات. فمثلاً:

- لم تُفرض الصلاةُ دفعةً واحدةً، بل كانت في بدايتها ركعتين، ثم فُرضت الصلوات الخمس.
- تحريم الخمر لم يكن دفعة واحدة، بل جاء على مراحل.
- بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته سراً ثم جهر بها بأمر من الله.

فالتدرج هو اتباع لهدي النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته.

٣. مراعاة أحوال المدعوين وقدراتهم:

النـــاس ليســـوا علـــى درجـــة واحـــدة مـــن الفهـــم والاســـتعداد والالتـــزام. فمـــنهم المُعـــرِض، ومـــنهم المُـــتردّد، ومـــنهم المُســـتجيب. فالتـــدرج يُتـــيح للداعيـــة أن يُخاطـب كـلّ فئـة بمـا يُناسـبها، وأن يُقـدّم لهـا الـدينَ بطريقـةٍ مُيسّـرةٍ ومُناسـبةٍ لقـدراتها واسـتعدادها. فالبـدء بـالأهم ثـم المهـم، وبالأسـهل ثـم الأصـعب، وبالأقرب إلى الفهم ثم ما يحتاج إلى تفصيل وشرح.

٤. تيسير قبول الدعوة واستمرارها:

يُسـاعد التـدرج علـى تيسـير قبـول الـدعوة مـن قبـل المـدعوين، لأنـه لا يُحمّلـهم مـا لا يُطيقـون، بـل يأخـذ بهـم خطـوة خطـوة نحـو الالتـزام الكامـل. كمـا أنـه يُسـاعد علـى اسـتمرار الـدعوة وثباتهـا، لأن التغـيير التـدريجي يكـون أثبـت وأرسخ من التغيير المفاجئ.

٥. تجنب النفور والصد عن الدين:

الـدعوة المُفاجئـة الـتي تُحمّـل النـاسَ تكـاليفَ كـثيرةً دفعـةً واحـدةً قـد تُـؤدّي إلى نفـورهم وصـدهم عـن الـدين. بينمـا الـدعوة المتدرجـة تُراعـي مشـاعر المدعوين وقدراتهم، وتُجنّبهم الشعور بالثقل أو الإكراه.

٦. تحقيق الثبات والرسوخ في الدين:

الالتـزام التـدريجي بالأحكـام والعبـادات يُسـاعد علـى ترسـيخ الإيمـان في القلـب، ويُحقّـق الثبـات علـى الـدين. فكلّمـا التـزم الإنسـانُ بشـيءٍ جديـدٍ، ازدادَ إيمانُهُ وقويتْ عزيمتُهُ على الاستمرار.

٧. الوصول إلى الكمال المنشود:

الدين الإسلامي دينٌ كاملٌ شاملٌ، والتدرج يُساعد على الوصول إلى هذا الكمال شيئاً فشيئاً، من خلال البدء بالأصول ثم الفروع، وبالأهم ثم المهم.

٨. معالجة المشاكل والظواهر السلبية بشكل فعّال:

عند معالجة المشاكل الاجتماعية أو الظواهر السلبية، فإنّ التدرج يكون أكثر فعالية من المواجهة الصدامية. فالتدرج يُتيح للداعية أن يُقنع الناسَ بخطأ هذه الظواهر، وأن يُقدّم لهم البدائلَ المُناسبةَ، وأن يُساعدهم على التغيير بشكل تدريجي ومُستدام.

٩. تحقيق المصلحة ودرء المفسدة:

يُعتبر التدرج من الوسائل الهامة لتحقيق المصالح الشرعية ودرء المفاسد، فمن خلال التدرج يُمكن تحقيق أكبر قدر من المصالح وتجنب الوقوع في المفاسد أو تقليلها قدر الإمكان.

باختصار: فإنّ التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ليس مجرد أسلوب دعوي، بل هو منهج رباني وهدي نبوي، يهدف إلى تيسير قبول الدين وتطبيقه في الواقع، وتحقيق الثبات والرسوخ فيه، والوصول إلى الكمال المنشود، وتحقيق المصالح ودرء المفاسد. وهو ضرورة لكل داعية يسعى إلى هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

الأسس التي قام عليها التدرج في الدعوة الإسلامية

يقوم التدرج في الدعوة الإسلامية على مجموعة من الأسس الراسخة المستمدة من الكتاب والسنة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والتي تُشكّل الإطار المنهجي لهذا المبدأ العظيم. ويمكن تلخيص هذه الأسس فيما يلي:

١. الوحي الإلهي والتوجيه الرباني:

يُعتبر الوحي الإلهي المصدر الأساسي للتدرج في الدعوة، حيث أنزل الله القرآن الكريم مُنجّمًا على مدى ثلاثة وعشرين عامًا، ولم ينزله دفعة واحدة، لحكمة بالغة، كما قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} [الفرقان: ٣٢]. فنزول القرآن مُنجّمًا كان تثبيتًا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، وتيسيرًا لحفظه وفهمه وتطبيقه على المسلمين. وهذا يُعتبر أصلًا عظيمًا في التدرج في الدعوة.

٢. الهدي النبوي والسنة المطهرة:

اتّبع النبي صلى الله عليه وسلم منهج التدرج في دعوته، فبدأ بدعوة الناس إلى التوحيد، وهو الأصل الأعظم، ثم تدرج في تشريع الأحكام والعبادات. ومن الأمثلة على ذلك:

- **التدرج في فرض الصلاة:** لم تُفرض الصلوات الخمس دفعة واحدة، بل كانت في بدايتها ركعتين، ثم فُرضت الصلوات الخمس في رحلة الإسراء والمعراج.

- **التدرج في تحريم الخمر:** لم يُحرّم الخمر دفعة واحدة، بل جاء التحريم على مراحل، حتى استقر في التحريم القطعي.

- **التدرج في الدعوة نفسها:** بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته سراً ثم جهر بها بأمر من الله تعالى.

فهذا الهدي النبوي يُعتبر أساسًا مهمًا في التدرج في الدعوة.

٣. مراعاة طبيعة النفس البشرية:

يعلم الله سبحانه وتعالى طبيعة النفس البشرية، وأنها تميل إلى التدرج والتيسير، وتنفر من التغيير المفاجئ والصعب. فالتدرج يُراعي هذه الطبيعة، ويُساعد على تيسير قبول الدعوة والالتزام بها. فالنفس البشرية تُقبل على الشيء اليسير السهل، ثم تتقوى شيئًا فشيئًا على الالتزام بالأوامر والنواهي.

٤. فقه الأولويات وتقديم الأهم على المهم:

يُعتبر فقه الأولويات من أهم الأسس التي يقوم عليها التدرج في الدعوة. فيجب على الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم، وبالأصول قبل الفروع، وبالأسهل قبل الأصعب. فالتركيز على تصحيح العقيدة وتوحيد الله تعالى يُعتبر أولوية مُقدّمة على غيرها من الأمور.

٥. الحكمة والرفق واللين في الدعوة:

يُعتبر الحكمة والرفق واللين من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية، وهي من الأسس التي يقوم عليها التدرج في الدعوة. فالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والبعد عن العنف والشدة، يُساعد على قبول الدعوة والتأثير في المدعوين. قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥].

٦. التيسير وعدم التعسير:

يُعتبر التيسير من مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو من الأسس التي يقوم عليها التدرج في الدعوة. فالدين يُسر، ولم يُجعل علينا فيه من حرج. فالتدرج يُساعد على تيسير الدعوة على المدعوين، وعدم تحميلهم ما لا يُطيقون.

٧. تحقيق المصالح ودرء المفاسد:

يُعتبر التدرج من الوسائل الهامة لتحقيق المصالح الشرعية ودرء المفاسد. فمن خلال التدرج يُمكن تحقيق أكبر قدر من المصالح وتجنب الوقوع في المفاسد أو تقليلها قدر الإمكان. فمثلاً، التدرج في تحريم الخمر كان من باب درء مفسدة عظيمة كانت مُنتشرة في المجتمع الجاهلي.

٨. الواقعية ومراعاة الظروف والأحوال:

يجب على الداعية أن يكون واقعيًا في دعوته، وأن يُراعي الظروف والأحوال التي يُحيط بالمدعوين. فالتدرج يُساعد على مُعالجة المشاكل

والظـــواهر الســـلبية بشـــكل فعّـــال، مـــن خـــلال تقـــديم الحلـــول المُناســـبة للواقـــع المُعاش.

باختصـــار، هـــذه هـــي أهـــم الأســـس الـــتي يقـــوم عليهـــا التـــدرج في الـــدعوة الإســـلامية، وهـــي أســـس مُســـتمدة مـــن الكتـــاب والســـنة وســـيرة الـــنبي صـــلى الله عليه وسلم، وتُراعي طبيعة النفس البشرية ومقاصد الشريعة الإسلامية.

الفصل الثاني: التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم

البداية بالأساسيات

يُعدّ التدرج من أبرز سمات دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان منهجه صلى الله عليه وسلم قائماً على الحكمة والتبصير، ومراعاة أحوال المدعوين وقدراتهم، والانتقال بهم من مرحلة إلى أخرى برفق ولين، حتى يترسخ الإيمان في قلوبهم ويستقيموا على شرع الله. ومن أهم مظاهر هذا التدرج: البداية بالأساسيات.

أهمية البدء بالأساسيات:

يُعتبر البدء بالأساسيات في الدعوة من أهم مظاهر التدرج، وله أهمية كبيرة تتجلى في الآتي:

- **بناء قاعدة صلبة:** البدء بالأساسيات يُشبه بناء قاعدة صلبة للبناء، فكلما كانت القاعدة قوية ومتينة، كان البناء أكثر ثباتاً ورسوخاً. وكذلك في الدعوة، البدء بالأساسيات يُساعد على ترسيخ الإيمان في قلوب المدعوين، ويجعلهم أكثر استعداداً لتقبل بقية الأحكام والتعاليم.

- **تيسير الفهم والاستيعاب:** البدء بالأساسيات يُساعد المدعوين على فهم واستيعاب الدين بشكل صحيح، حيث يبدأون بفهم الأمور البسيطة والواضحة، ثم ينتقلون إلى الأمور الأكثر تفصيلاً وتعقيداً.

- **تجنب النفور والصد:** تحميل المدعوين بتكاليف كثيرة في بداية الدعوة قد يُؤدي إلى نفورهم وصدهم عن الدين. بينما البدء بالأساسيات

يُخفف عنهم، ويُشعرهم باليسر والسماحة، فيكونون أكثر قبولاً واستجابة.

- **تحقيق الثبات والاستمرار**: الالتزام بالدين يحتاج إلى صبر ومثابرة، والبدء بالأساسيات يُساعد المدعوين على الثبات والاستمرار في طريق الهداية، حيث يبدأون بأمور سهلة ومُيسّرة، ثم يزدادون التزاماً شيئاً فشيئاً.

من مظاهر البدء بالأساسيات في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم:

- **الدعوة إلى التوحيد**: كان أول ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم هو توحيد الله تعالى، ونبذ الشرك وعبادة الأصنام. فقد مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى التوحيد، ويُرسّخ عقيدة "لا إله إلا الله" في قلوب الناس. وهذا يُبيّن أهمية البدء بالأساس، وهو تصحيح العقيدة.

- **التركيز على مكارم الأخلاق**: إلى جانب الدعوة إلى التوحيد، كان النبي صلى الله عليه وسلم يُركّز على مكارم الأخلاق، ويدعو إلى الصدق والأمانة والعدل والإحسان وغيرها من الأخلاق الفاضلة. فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". وهذا يُبيّن أهمية البدء بالأخلاق الحسنة التي تُهيّئ النفوس لقبول الحق.

- **التدرج في تشريع الأحكام**: لم تُفرض جميع الأحكام الشرعية دفعة واحدة، بل جاءت مُتدرجة، فبدأ بالأوامر والنواهي الأساسية، ثم تدرج في تشريع بقية الأحكام. فمثلاً، لم تُفرض الصلاةُ في بدايتها على

صورتها التي نُصلّيها اليوم، بل كانت ركعتين في الصباح وركعتين في المساء، ثم فُرضت الصلوات الخمس في رحلة الإسراء والمعراج. وكذلك تحريم الخمر لم يكن دفعة واحدة، بل جاء على مراحل.

- **البدء بدعوة الأقربين:** امتثالاً لأمر الله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]، بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته بدعوة أقرب الناس إليه، زوجته خديجة رضي الله عنها، وابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وصديقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم تدرج في دعوة بقية الناس.

يُعتبر البدء بالأساسيات من أهم مظاهر التدرج في الدعوة، وهو منهج نبوي قويم يُساعد على ترسيخ الإيمان في القلوب، وتيسير الفهم والاستيعاب، وتجنب النفور والصد، وتحقيق الثبات والاستمرار. فعلى الدعاة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في البدء بالأساسيات، والتركيز على تصحيح العقيدة وترسيخ مكارم الأخلاق، ثم التدرج في بقية الأحكام والتعاليم.

الأساليب المتبعة في التدرج في الدعوة الإسلامية

بعد أن تبيّنت لنا أهمية التدرج في الدعوة الإسلامية، وأنّه منهج نبوي قويم، يحسن بنا أن نتناول بالبيان الأساليب المتنوعة التي يُمكن للداعية اتباعها لتحقيق هذا التدرج في دعوته. فالتدرج ليس أسلوباً واحداً، بل هو يشمل طُرقاً ووسائلَ مُتعدّدةً، يُمكن للداعية أن يُنوّع بينها بحسب حال المدعوين والموضوع المطروح. ومن أهم هذه الأساليب:

١. التدرج في الموضوعات المطروحة:

- **البدء بالأصول قبل الفروع:** يبدأ الداعية بدعوة الناس إلى أصول الدين وقواعده الكبرى، كالتوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ثم ينتقل إلى الفروع والأحكام العملية. فترسيخ العقيدة الصحيحة هو الأساس الذي يُبنى عليه سائر الأعمال.

- **البدء بالأهم ثم المهم:** يُقدّم الداعية الأمور الأكثر أهمية وضرورة في الدين، ثم ينتقل إلى ما هو أقل أهمية. فمثلاً، يبدأ بالدعوة إلى الصلاة، ثم إلى الزكاة، ثم إلى غيرها من العبادات.

- **البدء بما يُناسب حال المدعو:** يُراعي الداعية حال المدعو وقدراته واستعداده، فيبدأ بما يُناسب فهمه وإدراكه. فمخاطبة العالم تختلف عن مخاطبة العامي، ومخاطبة الشاب تختلف عن مخاطبة الشيخ.

٢. التدرج في أساليب الدعوة:

- **البدء باللين والرفق:** يستخدم الداعية أسلوب اللين والرفق في دعوته، ويتجنب العنف والشدة. فالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن يجذبان القلوب ويُهيّئان النفوس لقبول الحق.

- **التدرج في استخدام أساليب الإقناع:** يبدأ الداعية بالأساليب الأسهل والأقرب إلى فهم المدعو، كالموعظة الحسنة والقصص المؤثرة، ثم ينتقل إلى الأساليب الأكثر تعقيداً كالجدال بالتي هي أحسن والحوار العلمي.

- **التدرج في استخدام وسائل الدعوة:** يُمكن للداعية أن يتدرج في استخدام وسائل الدعوة، فيبدأ بالوسائل البسيطة كالمحادثة الشخصية والكلمة الوعظية، ثم ينتقل إلى الوسائل الأكثر تطوراً كالمحاضرات والندوات ووسائل الإعلام والتواصل الحديثة.

٣. التدرج في المخاطبة:

- **مخاطبة العقل والقلب معاً:** يُخاطب الداعية عقل المدعو وقلبه في آن واحد، فيُقدّم الأدلة والبراهين العقلية التي تُقنع العقل، ويُقدّم أيضاً المواعظ والقصص التي تُؤثّر في القلب وتُرقّق المشاعر.

- **التدرج في مستوى الخطاب:** يُراعي الداعية مستوى فهم المدعوين وثقافتهم، فيُخاطب كل فئة بما يُناسبها من اللغة والأسلوب.

- **التـــدرج في درجـــة الإلـــزام:** لا يُحمّـــل الداعيـــة المـــدعوين بتكـــاليف كـــثيرة في بدايـــة الـــدعوة، بـــل يتـــدرج معهـــم في إلـــزامهم بالأحكـــام الشرعية، حتى يترسخ الإيمان في قلوبهم ويستقيموا على شرع الله.

٤. التدرج في معالجة المشكلات:

- **البـــدء بمعالجـــة الأســـباب الجذريـــة:** عنـــد معالجـــة مشـــكلة أو ظـــاهرة ســـلبية، يبـــدأ الداعيـــة بمعالجـــة الأســـباب الجذريـــة الـــتي أدت إلى ظهور هذه المشكلة، بدلاً من التركيز على معالجة الأعراض فقط.

- **التـــدرج في تغـــيير العـــادات والســـلوكيات:** تغـــيير العـــادات والســـلوكيات يحتـــاج إلى وقـــت وجهـــد وتـــدرج. فـــلا يُمكـــن تغـــيير عـــادة مُتجـــذّرة في النفـــوس بـــين ليلـــة وضـــحاها، بـــل يحتـــاج الأمـــر إلى تـــدرج وصبر ومُثابرة.

- **تقـــديم البـــدائل المناســـبة:** عنـــد النهـــي عـــن منكـــر أو عـــادة ســـيئة، يُقـــدّم الداعيـــة البـــدائل المناســـبة الـــتي تُســـاعد المـــدعوين علـــى التخلـــي عـــن هـــذه العادة واستبدالها بعادة حسنة.

أمثلة من التدرج في الدعوة:

- **تحـــريم الخمـــر:** لم يُحـــرّم الخمـــر دفعـــة واحـــدة، بـــل جـــاء التحـــريم على مراحل، حتى استقر في التحريم القطعي.

- **فـــرض الصـــلاة:** لم تُفـــرض الصـــلوات الخمـــس في بدايـــة الـــدعوة، بـــل كانت في بدايتها ركعتين في الصباح وركعتين في المساء.

- **دعـوة معـاذ بـن جبـل إلى الـيمن:** عنـدما أرسـل الـنبي صـلى الله عليـه وسـلم معـاذ بـن جبـل إلى الـيمن، أوصـاه بـأن يبـدأ بـدعوة النـاس إلى التوحيد، ثم إلى الصلاة، ثم إلى الزكاة.

يُعتـبر التـدرج في الـدعوة منهجـاً حكيمـاً ونافعـاً، يُسـاعد علـى إيصـال الـدعوة إلى النـاس بطريقـة مُيسّـرة ومُناسـبة، ويُحقّـق أفضـل النتـائج وأكثرهـا ثباتـاً واسـتدامة. فعلـى الـدعاة أن يتعلّمـوا هـذه الأسـاليب ويُطبّقوهـا في دعـوتهم، وأن يُراعيـوا أحـوال المـدعوين وقـدراتهم، وأن يكونـوا حُكمـاء رُفقـاء لُطفـاء في دعوتهم إلى الله تعالى.

٥. مراعاة المراحل العمرية للمدعوين:

يختلـف فهـم واسـتيعاب والتـزام الأشـخاص بـاختلاف مراحلـهم العمريـة. فالطفـل يختلـف عـن الشـاب، والشـاب يختلـف عـن الشـيخ. لـذا، يجـب علـى الداعية أن يُراعي هذه المراحل في دعوته:

- **مرحلـة الطفولـة:** يُركّـز الداعيـة في هـذه المرحلـة علـى غـرس القـيم الأساسـية كحـب الله ورسـوله، والصـدق والأمانـة، باسـتخدام أسـاليب مُحببة للأطفال كالقصص والأناشيد والألعاب.

- **مرحلـة المراهقـة:** يُركّـز الداعيـة في هـذه المرحلـة علـى بنـاء الـوعي الـديني الصـحيح، والإجابـة علـى تسـاؤلات المـراهقين وشُـبهاتهم، باستخدام أسلوب الحوار والإقناع.

- **مرحلة الشباب:** يُركّز الداعية في هذه المرحلة على تحفيز الشباب على العمل الصالح، واستغلال طاقاتهم في خدمة الدين والمجتمع، باستخدام أسلوب القدوة الحسنة والتحفيز.

- **مرحلة الشيخوخة:** يُراعي الداعية في هذه المرحلة ضعف القدرة على التغيير الجذري، فيُركّز على التذكير والوعظ، وتيسير العبادات على كبار السن.

٦. استخدام الوسائل المناسبة لكل مرحلة:

يجب اختيار الوسيلة الدعوية المناسبة لكل مرحلة من مراحل التدرج. فمثلاً:

- في بداية الدعوة، قد يكون التركيز على اللقاءات الفردية والمحادثات الشخصية أكثر فاعلية.

- بعد ذلك، يُمكن الانتقال إلى الدروس والمحاضرات العامة.

- ثم يُمكن استخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة للوصول إلى شريحة أوسع من المدعوين.

٧. الصبر والاستمرار:

التدرج في الدعوة يتطلب صبرًا واستمرارًا من الداعية. فقد لا يرى الداعية نتائج دعوته بشكل سريع، ولكنه يجب أن يستمر في دعوته، واثقًا بأن الله سيُبارك جهوده ويُهدي من يشاء.

٨. الجمع بين التدرج والحاجة:

قد تستدعي بعض الظروف الحاجة إلى تقديم بعض الأحكام أو التوجيهات بشكل مُباشر وسريع، دون تدرج. في هذه الحالة، يجب على الداعية أن يُوازن بين مُقتضى التدرج ومُقتضى الحاجة، وأن يُقدّم ما هو ضروري بشكل مُناسب، مع الحرص على عدم إثقال كاهل المدعوين.

٩. أمثلة أخرى من التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم:

- **في تربية الصحابة:** كان النبي صلى الله عليه وسلم يُربّي الصحابة على الإيمان والأخلاق شيئاً فشيئاً، ويُعلّمهم الأحكام والعبادات بالتدرج.
- **في التعامل مع المُخالفين:** كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع المُخالفين بالحكمة والرفق، ويدعوهم إلى الإسلام بالحُجّة والبُرهان.

١٠. أهمية فهم مقاصد الشريعة:

فهم مقاصد الشريعة يُساعد الداعية على تطبيق التدرج بشكل صحيح، حيث يُمكنه من تحديد الأولويات وتقديم ما هو أنفع للمدعوين في كل مرحلة.

التدرج في الدعوة منهج شامل يتناول جوانب عديدة، من الموضوعات والأساليب والمخاطبة ومعالجة المشكلات. وعلى الداعية أن يكون فقيهاً في

دينه، عالماً بواقع الناس، حكيماً في دعوته، ليُحسن تطبيق هذا المنهج ويُحقق أفضل النتائج.

أمثلة من السنة النبوية على التدرج في الدعوة

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة والأسوة الكاملة في تطبيق منهج التدرج في الدعوة إلى الله تعالى. وقد تجلّى هذا المنهج في مواقف وأحداث كثيرة من سيرته العطرة وسنته المطهرة. نذكر هنا بعض الأمثلة الواضحة على ذلك:

١. التدرج في فرض الصلاة:

لم تُفرض الصلوات الخمس دفعة واحدة، بل كانت في بدايتها ركعتين في الصباح وركعتين في المساء. ثم في رحلة الإسراء والمعراج، فُرضت الصلوات الخمس على صورتها التي نُصلّيها اليوم. وهذا يُبيّن حكمة التدرج في التكاليف الشرعية، ومراعاة قدرة المُكلّفين واستعدادهم.

٢. التدرج في تحريم الخمر:

لم يُحرّم الخمر دفعة واحدة، بل جاء التحريم على مراحل، وذلك لمراعاة تعلّق الناس بها واعتيادهم عليها. ففي البداية، نزلت آيات تُبيّن أنّ في الخمر إثمًا كبيرًا ومنفعة للناس، ولكن الإثم أكبر من النفع. ثم نزلت آيات تنهى عن الصلاة في حال السكر. ثم نزلت الآية القطعية التي تُحرّم الخمر تحريماً باتاً، وهي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ

وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٩٠].

٣. دعوة معاذ بن جبل إلى اليمن:

عندما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، أوصاه وصية جامعة مانعة، تُبيّن منهجه صلى الله عليه وسلم في التدرج في الدعوة. قال له: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب". وهذا الحديث يُبيّن التدرج في الدعوة من الأصل الأعظم وهو التوحيد، ثم إلى أركان الإسلام العملية.

٤. التعامل مع حديثي الإسلام:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يُراعي أحوال حديثي الإسلام، ويُخفّف عنهم في بداية إسلامهم، حتى يترسخ الإيمان في قلوبهم ويستقيموا على شرع الله. فقد كان يُعلّمهم أركان الإسلام الأساسية، ويُؤجّل بعض الأحكام الأخرى إلى حين استقرار إيمانهم.

٥. التدرج في تربية الصحابة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يُربّي الصحابة على الإيمان والأخلاق شيئاً فشيئاً، ويُعلّمهم الأحكام والعبادات بالتدرج. فقد كان يُركّز في بداية الدعوة على بناء العقيدة الصحيحة وترسيخ مكارم الأخلاق، ثم تدرج في تشريع بقية الأحكام والعبادات.

٦. التدرج في معالجة بعض العادات السيئة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتدرج في معالجة بعض العادات السيئة التي كانت مُنتشرة في المجتمع الجاهلي، كشرب الخمر والميسر. فقد كان يُبيّن لهم مفاسد هذه العادات، ويُهيّئهم لقبول التحريم، حتى نزل التحريم القطعي.

٧. قصة المرأة التي سألت عن دينها:

جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله عن دينها، فأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بأركان الإسلام، ثم سألته عن أمور أخرى، فأجابها صلى الله عليه وسلم بالتدرج، ولم يُحمّلها بجميع التكاليف دفعة واحدة.

٨. حديث الأعرابي الذي بال في المسجد:

عندما بال أعرابي في المسجد، همّ الصحابة بضربه، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "لا تزرموه، دعوه"، ثم أمر بإراقة سجل من ماء على بوله. ثم دعاه صلى الله عليه وسلم وعلّمه برفق ولين، وبيّن له حرمة

المسجد. وهذا يُبيّن حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الجاهل، والتدرج في تعليمه وتوجيهه.

هذه بعض الأمثلة من السنة النبوية التي تُبيّن منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التدرج في الدعوة. وهي تُؤكّد أهمية هذا المنهج وضرورته في إيصال الدعوة إلى الناس بطريقة مُيسّرة ومُناسبة، تُحقّق أفضل النتائج وأكثرها ثباتاً واستدامة.

الفصل الثالث: قواعد التدرج في الدعوة (٢٥ قاعدة)

التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ليس مجرد أسلوب عشوائي، بل هو منهج قويم تحكمه قواعد وضوابط مستمدة من الكتاب والسنة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم. هذه القواعد تُعين الداعية على فهم هذا المبدأ وتطبيقه بشكل صحيح وفعال. فيما يلي ٢٥ قاعدة مع أمثلة وتوضيحات وأدلة إن وجدت:

١. **البدء بالأهم فالمهم:** يبدأ الداعية بدعوة الناس إلى أهم الأمور في الدين، وهو توحيد الله تعالى، ثم ينتقل إلى ما يليه من الأركان والواجبات.

- **مثال:** دعوة النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى البدء بالتوحيد قبل الصلاة والزكاة.

- **الدليل:** حديث معاذ: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله...".

٢. **البدء بالأصول قبل الفروع**: يُقدّم الداعية أصول الدين وقواعده الكبرى، ثم يتناول الفروع والأحكام التفصيلية.

- **مثال**: ترسيخ الإيمان بالله واليوم الآخر قبل الخوض في تفاصيل أحكام البيوع والمعاملات.

٣. **البدء بالأسهل قبل الأصعب**: يُقدّم الداعية الأمور السهلة والمُيسّرة على النفوس، ثم ينتقل إلى ما هو أصعب.

- **مثال**: تشجيع حديثي الإسلام على حفظ سور قصيرة من القرآن قبل إلزامهم بحفظ أجزاء طويلة.

٤. **مراعاة أحوال المدعوين وقدراتهم**: يُخاطب الداعية كل فئة بما يُناسبها من العلم والفهم والاستعداد.

- **مثال**: مخاطبة العالم بلغة علمية، ومخاطبة العامي بلغة بسيطة وواضحة.

٥. **التيسير وعدم التعسير**: يُيسّر الداعية على المدعوين ولا يُحمّلهم ما لا يُطيقون.

- **الدليل**: قوله صلى الله عليه وسلم: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا".

٦. **الرفق واللين في الدعوة**: يستخدم الداعية أسلوب اللين والرفق، ويتجنب العنف والشدة.

- **الدليل:** قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩].

٧. **الحكمة في اختيار الوقت والمكان المناسبين:** يختار الداعية الوقت والمكان المناسبين للدعوة، ويتحين الفرص المناسبة.

٨. **البدء بالتخلية قبل التحلية:** يُطهّر الداعية قلوب المدعوين من الشرك والمعاصي قبل حشوها بالمعارف والأحكام.

- **مثال:** التركيز على التوبة والاستغفار قبل البدء في شرح تفاصيل العبادات.

٩. **التدرج في تغيير العادات والسلوكيات:** تغيير العادات يحتاج إلى وقت وجهد وتدرج.

- **مثال:** معالجة عادة التدخين أو تعاطي المخدرات تحتاج إلى برنامج تدريجي.

١٠. **تقديم البدائل المناسبة:** عند النهي عن منكر، يُقدّم الداعية البدائل المناسبة.

- **مثال:** عند النهي عن الغناء المحرم، يُقدّم الأناشيد الإسلامية الهادفة.

١١. **استخدام القصص والمواعظ المؤثرة:** تُؤثّر القصص والمواعظ في القلوب وتُقرّب المعاني.

١٢. **استخدام أسلوب الحوار والإقناع:** يُحاور الداعية المدعوين بالحسنى ويُقنعهم بالأدلة والبراهين.

- **الدليل:** قوله تعالى: {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥].

١٣. **تكرار الدعوة وتنوع الأساليب:** لا ييأس الداعية من تكرار الدعوة وتنوع الأساليب.

١٤. **الصبر وعدم الاستعجال للنتائج:** الدعوة تحتاج إلى صبر ومثابرة، وقد لا تظهر النتائج بسرعة.

١٥. **الدعاء للمدعوين بالهداية:** يدعو الداعية للمدعوين بصدق وإخلاص.

١٦. **مراعاة الفروق الفردية بين المدعوين:** يختلف الناس في فهمهم واستجابتهم، فيُراعي الداعية هذه الفروق.

١٧. **البدء بدعوة الأقربين ثم الأبعدين:** يُقدّم الداعية دعوة أقاربه وأهل بيته على غيرهم.

- **الدليل:** قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤].

١٨. **التركيز على الجوانب العملية والتطبيقية:** يُركّز الداعية على ما يُمكن تطبيقه في الواقع.

١٩. **الجمع بين العلم والعمل:** يكون الداعية عاملاً بما يدعو إليه، ليكون قدوة حسنة.

٢٠. استخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة بحكمة: يستخدم الداعية هذه الوسائل لنشر الدعوة بطريقة مُناسبة.

٢١. فهم الواقع المعاصر وتحدياته: يكون الداعية على دراية بالواقع الذي يعيش فيه المدعوون.

٢٢. التعاون مع الدعاة الآخرين: يُساعد التعاون على تحقيق التكامل في العمل الدعوي.

٢٣. الاستشارة وأخذ المشورة من أهل العلم والخبرة: يستشير الداعية أهل العلم والخبرة في الأمور الدعوية.

٢٤. الإخلاص لله تعالى في الدعوة: يكون الداعية مُخلصاً في دعوته، لا يبتغي بها إلا وجه الله تعالى.

٢٥. التوكل على الله تعالى واليقين بنصره: يتوكل الداعية على الله تعالى ويثق بنصره وتأييده.

هذه بعض القواعد الهامة التي تُساعد على تطبيق التدرج في الدعوة بشكل صحيح وفعال. وعلى الداعية أن يحرص على فهم هذه القواعد وتطبيقها في دعوته، وأن يستشير أهل العلم والخبرة عند الحاجة.

التدرج في تشريع الأحكام

تُعتبرُ قاعدةُ التدرجِ في تشريعِ الأحكامِ من أبرزِ مظاهرِ رحمةِ اللهِ تعالى بعبادهِ، وحكمتِهِ في تنزيلِ شريعتهِ. فاللهُ سبحانهُ وتعالى لم يُنزّلْ جميعَ الأحكامِ دفعةً واحدةً، بل أنزلَها مُتدرجةً على مراحلَ، لمراعاةِ أحوالِ المُكلّفينَ وقدراتِهم واستعداداتِهم، ولتثبيتِ الإيمانِ في قلوبهم، ولتسهيلِ العملِ بها.

مفهوم التدرج في تشريع الأحكام:

التدرجُ في تشريعِ الأحكامِ يعني إنزالَ الأحكامِ الشرعيةِ على مراحلَ مُتتابعةٍ، تبدأُ بالأصولِ والكلياتِ، ثمّ تتناولُ الفروعَ والتفصيلاتِ، معَ مُراعاةِ الظروفِ والأحوالِ والمصالحِ. ولا يعني التدرجُ تأخيرَ بيانِ حكمٍ شرعيٍّ عندَ الحاجةِ إليهِ، بل يعني تقديمَهُ بالأسلوبِ الأمثلِ الذي يُناسبُ حالَ المُكلّفينَ.

أهمية التدرج في تشريع الأحكام:

- **التيسير على المكلفين:** يُخفّفُ التدرجُ عن المُكلّفينَ، ولا يُحمّلُهم ما لا يُطيقون، فيكونُون أكثرَ قبولاً واستجابةً للأحكامِ الشرعيةِ.
- **تثبيت الإيمان في القلوب:** يُساعدُ التدرجُ على تثبيتِ الإيمانِ في القلوبِ، لأنّهُ يُعطي المُكلّفَ وقتًا كافيًا لفهمِ الحكمِ واستيعابهِ والعملِ بهِ.

- **تحقيق المصالح ودرء المفاسد:** يُساعدُ التدرجُ على تحقيقِ المصالحِ الشرعيةِ ودرءِ المفاسدِ، لأنّهُ يُراعي الظروفَ والأحوالَ والمصالحَ المُتغيّرةَ.

- **الاستجابة للواقع المتغير:** يُمكنُ للشريعةِ من خلالِ التدرجِ أن تستجيبَ للواقعِ المُتغيّرِ، وأن تُقدّمَ الحلولَ المُناسبةَ للمشاكلِ المُستجدةِ.

أمثلة من التدرج في تشريع الأحكام:

- **تحريم الخمر:** لم يُحرّم الخمرُ دفعةً واحدةً، بل جاءَ التحريمُ على مراحلَ:

  - المرحلة الأولى: بيانُ أنّ في الخمرِ إثمًا كبيرًا ومنفعةً للناسِ، ولكنّ الإثمَ أكبرُ من النفعِ. {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} [البقرة: ٢١٩].

  - المرحلة الثانية: النهيُ عن الصلاةِ في حالِ السُّكرِ. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣].

  - المرحلة الثالثة: التحريمُ القطعيُّ للخمرِ. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٩٠].

- **فرض الصلاة:** لم تُفرض الصلواتُ الخمسُ في بدايةِ الدعوةِ، بل كانت ركعتينِ في الصباحِ وركعتينِ في المساءِ، ثمّ فُرضت الصلواتُ الخمسُ في رحلةِ الإسراءِ والمعراجِ.

- **تشريع الجهاد:** لم يُؤذنْ للمسلمينَ بالقتالِ في بدايةِ الدعوةِ، بل أُمروا بالصبرِ والكفِّ عن القتالِ، ثمّ أُذنَ لهم بالقتالِ للدفاعِ عن النفسِ والدينِ.

ضوابط التدرج في تشريع الأحكام:

- **عدم التنازل عن الثوابت:** لا يجوزُ التدرجُ في الأحكامِ التي ثبتتْ بنصوصٍ قطعيةٍ من الكتابِ والسنةِ، كأركانِ الإسلامِ وأصولِ العقيدةِ.

- **الالتزام بمقاصد الشريعة:** يجبُ أن يكونَ التدرجُ مُوافقًا لمقاصدِ الشريعةِ الإسلاميةِ، كحفظِ الدينِ والنفسِ والعقلِ والنسلِ والمالِ.

- **مراعاة المصلحة الراجحة:** يجبُ أن يُحقّقَ التدرجُ مصلحةً راجحةً للمُكلّفينَ، أو يدرأَ عنهم مفسدةً أكبرَ.

- **عدم تعطيل الأحكام الشرعية:** لا يجوزُ تأخيرُ بيانِ حكمٍ شرعيٍّ عندَ الحاجةِ إليهِ، أو تعطيلُ العملِ بهِ بحجةِ التدرجِ.

التدرجُ في تشريعِ الأحكامِ من مظاهرِ رحمةِ اللهِ تعالى وحكمتِهِ، وهو منهجٌ نبويٌّ قويمٌ يُراعي أحوالَ المُكلّفينَ ويُيسّرُ عليهم العملَ بالشريعةِ. وعلى الدعاةِ أن يفهموا هذهِ القاعدةَ ويُطبّقوها في دعوتِهم، معَ الالتزامِ بضوابطِها الشرعيةِ.

التدرج في استجابة المدعوين

تُعدّ هذه القاعدةُ من أهمِّ القواعدِ التي يجبُ على الداعيةِ مراعاتُها، حيثُ إنّ استجابةَ المدعوينَ للدعوةِ لا تكونُ دائمًا دفعةً واحدةً، بل تحتاجُ إلى وقتٍ وجهدٍ وتدرجٍ. فلكلِّ مدعوٍّ ظروفُهُ الخاصةُ وقدراتُهُ واستعداداتُهُ، ولذلكَ يجبُ على الداعيةِ أن يكونَ صبورًا وحكيمًا في التعاملِ معهم، وأن يتدرجَ معهم في استجابتِهم للدعوةِ.

مفهوم التدرج في استجابة المدعوين:

لا يُقصدُ بالتدرجِ هنا التنازلَ عن شيءٍ من الدينِ أو تأخيرَ بيانِ الحقِّ، بل المقصودُ هو مراعاةُ أحوالِ المدعوينَ وظروفِهم، وعدمُ تحميلِهم ما لا يُطيقون في بدايةِ الأمرِ، وتشجيعُهم على التقدمِ خطوةً خطوةً نحو الالتزامِ الكاملِ.

مظاهر التدرج في استجابة المدعوين:

- **القبول الجزئي ثمّ القبول الكامل:** قد يبدأُ المدعوُّ بقبولِ بعضِ جوانبِ الدعوةِ ورفضِ جوانبَ أخرى، فيجبُ على الداعيةِ أن يُثنيَ على ما قبلهُ ويُشجّعَهُ عليهِ، وأن يُواصلَ دعوتَهُ بالحكمةِ والرفقِ حتى يُقبلَ بالدينِ كاملًا.
- **الالتزام التدريجي بالأوامر والنواهي:** قد يقتنعُ المدعوُّ بوجوبِ فعلِ أمرٍ ما أو تركِ منكرٍ ما، ولكنهُ قد لا يستطيعُ الالتزامَ بهِ بشكلٍ كاملٍ في بدايةِ الأمرِ، فيجبُ على الداعيةِ أن يُشجّعَهُ على البدءِ بالقدرِ المُستطاعِ، وأن يُساعدَهُ على التدرجِ في الالتزامِ حتى يصلَ إلى الكمالِ.

- **التدرج في فهم معاني الدين:** قد يحتاجُ المدعوُّ إلى وقتٍ لفهمِ بعضِ معاني الدينِ وأحكامِهِ، فيجبُ على الداعيةِ أن يُقدّمَ لهُ المعلوماتِ بشكلٍ مُبسّطٍ ومُناسبٍ لمستواهُ، وأن يُجيبَ على تساؤلاتِهِ بصدرٍ رحبٍ.

- **تفاوت سرعة الاستجابة بين المدعوين:** يختلفُ الناسُ في سرعةِ استجابتِهم للدعوةِ، فمنهم من يستجيبُ بسرعةٍ، ومنهم من يحتاجُ إلى وقتٍ أطولَ، فيجبُ على الداعيةِ أن يُراعيَ هذهِ الفروقَ الفرديةَ وأن لا يستعجلَ النتائجَ.

أمثلة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:

- **قصةُ الصحابيِّ الذي كانَ يشربُ الخمرَ:** كانَ أحدُ الصحابةِ يشربُ الخمرَ قبلَ تحريمِها، وبعدَ نزولِ التحريمِ استمرّ يشربُها حتى أُقيمَ عليهِ الحدُّ أكثرَ من مرةٍ، ومع ذلكَ لم ييأسُ النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم من هدايتِهِ، واستمرّ في نصحِهِ وتوجيهِهِ حتى تابَ توبةً نصوحًا.

- **التعامل مع حديثي الإسلام:** كانَ النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم يُراعي أحوالَ حديثي الإسلامِ، ويُخفّفُ عنهم في بدايةِ إسلامِهم، حتى يترسخَ الإيمانُ في قلوبهم.

أهمية التدرج في استجابة المدعوين:

- **تحقيق الاستقرار والثبات:** يُساعدُ التدرجُ على تحقيقِ الاستقرارِ والثباتِ على الدينِ، لأنّ الالتزامَ التدريجيّ يكونُ أثبتَ وأرسخَ من الالتزامِ المُفاجئِ.

- **تجنب النفور والصد:** تحميلُ المدعوينَ ما لا يُطيقون في بدايةِ الأمرِ قد يُؤدّي إلى نفورِهم وصدهم عن الدينِ.

- **تشجيع المدعوين على الاستمرار:** يُشجّعُ التدرجُ المدعوينَ على الاستمرارِ في طريقِ الهدايةِ، لأنّهم يرونَ تقدمًا مُلموسًا في التزامِهم.

ضوابط التدرج في استجابة المدعوين:

- **عدم التنازل عن الثوابت:** لا يجوزُ التدرجُ في الأمورِ التي ثبتتْ بنصوصٍ قطعيةٍ من الكتابِ والسنةِ.

- **عدم تأخير الواجبات عند القدرة عليها:** إذا كانَ المدعوُّ قادرًا على فعلِ واجبٍ ما، فلا يجوزُ تأخيرُهُ بحجةِ التدرجِ.

- **الاستمرار في الدعوة والنصح:** يجبُ على الداعيةِ أن يستمرّ في دعوةِ المدعوِّ ونصحِهِ وتوجيهِهِ، وأن لا ييأسَ من هدايتِهِ.

التدرجُ في استجابةِ المدعوينَ من الحكمةِ والرفقِ التي يجبُ على الداعيةِ التحلي بها. فعلى الداعيةِ أن يُراعيَ أحوالَ المدعوينَ وظروفَهم، وأن

يُشجّعَهم على التقدمِ خطوةً خطوةً نحو الالتزامِ الكاملِ، وأن لا ييأسَ من هدايتِهم.

التدرج في المواجهات مع المعارضين

تُعدّ هذه القاعدة من أهم القواعد التي يجب على الداعية فهمها وتطبيقها بحكمة ورويّة، فالدعوة إلى الله لا تخلو من معارضة ومخالفة، وقد تكون هذه المعارضة شديدة في بعض الأحيان. فالتدرج في مواجهة المعارضين يعني التعامل معهم بأساليب متنوعة تتناسب مع طبيعة المعارضة ودرجتها، مع الحرص على تحقيق المصلحة ودرء المفسدة.

مفهوم التدرج في المواجهات مع المعارضين:

لا يعني التدرج في المواجهات مع المعارضين التنازل عن الحق أو السكوت عن الباطل، بل يعني استخدام الأساليب المناسبة في الوقت المناسب، مع مراعاة الظروف والمآلات، والحرص على هداية المعارضين وتقليل العداوة قدر الإمكان.

مظاهر التدرج في المواجهات مع المعارضين:

- **الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:** يبدأ الداعية بدعوة المعارضين بالحكمة والموعظة الحسنة، واستخدام الأساليب اللينة والهادئة في الحوار والنقاش. قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥].

- **الصبر والاحتمال:** قد يواجه الداعية إساءة أو أذى من المعارضين، فيجب عليه أن يصبر ويحتمل، وأن لا يقابل الإساءة بالإساءة. قال تعالى: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل: ١٠].

- **الجدال بالتي هي أحسن:** إذا اقتضى الأمر النقاش والجدال، فيجب أن يكون ذلك بالتي هي أحسن، باستخدام الأدلة والبراهين المنطقية، وتجنب التعصب والسباب والتجريح.

- **الإعراض عن الجاهلين:** إذا وصل الأمر إلى الجهل والسفاهة، فالأفضل الإعراض عنهم وعدم الدخول معهم في جدال عقيم. قال تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: ٦٣].

- **المواجهة عند الضرورة مع مراعاة المصلحة:** قد يستدعي الأمر المواجهة الصريحة عند الضرورة، كالدفاع عن الدين أو ردّ الباطل، ولكن مع مراعاة المصلحة ودرء المفسدة، واستخدام الأساليب المناسبة التي تُحقق الهدف المنشود بأقل الخسائر.

أمثلة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:

- **معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين في مكة:** صبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى المشركين في مكة ثلاثة عشر عاماً، وكان يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتحمل منهم الأذى والإساءة.

- **حواره صلى الله عليه وسلم مع وفد نجران:** جادل النبي صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى بالتي هي أحسن، واستخدم الأدلة والبراهين لإقناعهم بصحة دعوته.

- **الإعراض عن أبي جهل وغيره من المستكبرين:** أعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي جهل وغيره من المستكبرين الذين كانوا يُصرّون على عنادهم وجحودهم، ولم يدخل معهم في جدال عقيم.

- **قتال النبي صلى الله عليه وسلم للمعتدين:** عندما اشتدّ أذى المشركين للمسلمين، وأصبحوا يُقاتلونهم، أذن الله للمسلمين بالقتال للدفاع عن أنفسهم ودينهم.

ضوابط التدرج في المواجهات مع المعارضين:

- **عدم التنازل عن الثوابت:** لا يجوز التنازل عن شيء من الدين أو تحريفه بحجة التدرج في المواجهة.

- **مراعاة المصلحة ودرء المفسدة:** يجب أن يكون الهدف من المواجهة تحقيق المصلحة ودرء المفسدة، وأن تُختار الأساليب التي تُحقق ذلك بأقل الخسائر.

- **الاستشارة وأهل العلم والخبرة:** يُستحسن للداعية أن يستشير أهل العلم والخبرة في كيفية التعامل مع المعارضين في المواقف المختلفة.

التدرج في المواجهات مع المعارضين هو منهج حكيم يُراعي الظروف والمآلات، ويهدف إلى هداية الناس وتقليل العداوة قدر الإمكان. وعلى

الداعيـــة أن يكـــون صـــبوراً حليمـــاً، وأن يســـتخدم الأســـاليب المناســـبة في الوقـــت المناسب، مع الحرص على تحقيق المصلحة ودرء المفسدة.

التدرج في بناء المجتمع الإسلامي

تُعـدّ هـذه القاعـدةُ مـن أهـمِّ القواعـدِ الـتي تُسـاهمُ في بنـاءِ مُجتمـعٍ إسـلاميٍّ قـويٍّ مُتماسـكٍ، حيـثُ إنّ بنـاءَ المُجتمعـاتِ لا يـتمُّ بـينَ ليلـةٍ وضُـحاها، بـل يحتـاجُ إلى وقتٍ وجهدٍ مُتواصلٍ وتخطيطٍ سليمٍ، معَ مُراعاةِ سُنّةِ التدرجِ.

مفهوم التدرج في بناء المجتمع الإسلامي:

لا يقتصـرُ التـدرجُ علـى دعـوةِ الأفـرادِ فحسـبُ، بـل يشـملُ أيضًـا بنـاءَ المُجتمـعِ الإسـلاميِّ ككُـلٍّ، وذلـكَ مـن خـلالِ وضـعِ خُطـطٍ وبـرامجَ مُتدرجـةٍ تُراعـي واقـعَ المُجتمـعِ وظروفَـهُ وإمكاناتِـهِ، وتهـدفُ إلى تحقيـقِ أهـدافِ الشـريعةِ الإسـلاميةِ في بناءِ مُجتمعٍ فاضلٍ مُتكاملٍ.

مظاهر التدرج في بناء المجتمع الإسلامي:

- **البـدءُ بتكـوينِ النـواةِ الصـالحةِ:** يبـدأُ بنـاءُ المُجتمـعِ بتكـوينِ نـواةٍ صـالحةٍ مـن الأفـرادِ المُلتـزمينَ بتعـاليمِ الإسـلامِ، الـذينَ يُشـكّلونَ القـدوةَ الحسـنةَ لبقيةِ أفرادِ المُجتمعِ.

- **التركيـزُ علـى التربيـةِ والتزكيـةِ:** يُعتـبرُ الاهتمـامُ بالتربيـةِ والتزكيـةِ مـن أهـمِّ عوامـلِ بنـاءِ المُجتمـعِ، حيـثُ تُسـاهمُ في بنـاءِ شخصـيةِ الفـردِ المُسـلمِ بناءً سليمًا، وتُحصّنُهُ من الانحرافِ والوقوعِ في الرذائلِ.

- **التدرج في تطبيقِ الأحكامِ الشرعيةِ:** يُراعى التدرجُ في تطبيقِ الأحكامِ الشرعيةِ في المُجتمعِ، معَ البدءِ بالأهمِّ فالمهمِّ، والأسهلِ فالأصعبِ، ومعَ مُراعاةِ ظروفِ المُجتمعِ وإمكاناتِهِ.

- **مُعالجةُ المشاكلِ الاجتماعيةِ بالتدرجِ:** عندَ مُعالجةِ المشاكلِ الاجتماعيةِ، يُراعى التدرجُ في إيجادِ الحلولِ المُناسبةِ، معَ البدءِ بمعالجةِ الأسبابِ الجذريةِ للمشاكلِ، وتقديمِ البدائلِ المُناسبةِ.

- **بناء المؤسساتِ الاجتماعيةِ تدريجيًا:** تُبنى المؤسساتُ الاجتماعيةُ التي تُساهمُ في خدمةِ المُجتمعِ وتطويرِهِ تدريجيًا، معَ البدءِ بالمؤسساتِ الأساسيةِ التي تُلبّي الحاجاتِ الضروريةَ للمُجتمعِ.

- **الاهتمامُ بالتنميةِ الشاملةِ:** يشملُ بناءُ المُجتمعِ الاهتمامَ بالتنميةِ الشاملةِ في جميعِ المجالاتِ، الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والثقافيةِ والتعليميةِ، معَ مُراعاةِ التوازنِ بينَ هذهِ المجالاتِ.

أمثلة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:

- **بناءُ الدولةِ الإسلاميةِ في المدينةِ:** لم يتمّ بناءُ الدولةِ الإسلاميةِ في المدينةِ دفعةً واحدةً، بل تمّ ذلكَ على مراحلَ مُتتابعةٍ، بدأتْ ببناءِ المسجدِ، ثمّ المُؤاخاةِ بينَ المُهاجرينَ والأنصارِ، ثمّ وضعِ الدستورِ الذي يُنظّمُ علاقةَ المُسلمينَ بغيرِهم.

- **التدرج في تطبيقِ الأحكامِ الشرعيةِ في المُجتمعِ:** كما ذكرنا سابقًا في تحريمِ الخمرِ وفرضِ الصلاةِ.

أهمية التدرج في بناء المجتمع الإسلامي:

- **تحقيق الاستقرار والثبات:** يُساعدُ التدرجُ على تحقيقِ الاستقرارِ والثباتِ في المُجتمعِ، لأنّ التغييرَ التدريجيّ يكونُ أثبتَ وأرسخَ من التغييرِ المُفاجئِ.

- **تجنب الفتن والاضطرابات:** يُجنّبُ التدرجُ المُجتمعَ الوقوعَ في الفتنِ والاضطراباتِ التي قد تُحدثُها التغييراتُ المُفاجئةُ.

- **تحقيق التنمية الشاملة والمتوازنة:** يُساعدُ التدرجُ على تحقيقِ تنميةٍ شاملةٍ مُتوازنةٍ في جميعِ جوانبِ المُجتمعِ.

ضوابط التدرج في بناء المجتمع الإسلامي:

- **الالتزام بمقاصد الشريعة:** يجبُ أن يكونَ التدرجُ مُوافقًا لمقاصدِ الشريعةِ الإسلاميةِ.

- **مراعاة واقع المجتمع وظروفه:** يجبُ مُراعاةُ واقعِ المُجتمعِ وظروفِهِ وإمكاناتِهِ عندَ وضعِ الخُططِ والبرامجِ.

- **الاستشارة وأهل العلم والخبرة:** يجبُ استشارةُ أهلِ العلمِ والخبرةِ في وضعِ الخُططِ والبرامجِ المُناسبةِ لبناءِ المُجتمعِ.

التدرجُ في بناءِ المُجتمعِ الإسلاميّ منهجٌ حكيمٌ يُساهمُ في تحقيقِ الاستقرارِ والتنميةِ الشاملةِ. فعلى القادةِ والمُصلحينَ أن يفهموا هذهِ القاعدةَ ويُطبّقوها في خُططِهم وبرامجِهم، معَ مُراعاةِ الضوابطِ الشرعيةِ والواقعيةِ.

الفصل الرابع: تطبيق التدرج في الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر

التحديات المعاصرة في الدعوة

إن تطبيق منهج التدرج في الدعوة الإسلامية في العصر الحالي يواجه جملة من التحديات التي تتطلب من الدعاة فهمًا عميقًا للواقع وحكمة في التعامل مع هذه التحديات. هذه التحديات متنوعة ومتشابكة، تشمل جوانب ثقافية واجتماعية وإعلامية وتكنولوجية، ومن أبرزها:

١. الانفتاح الثقافي والعولمة:

يشهد العالم انفتاحًا ثقافيًا غير مسبوق، وانتشارًا واسعًا للقيم والثقافات المختلفة عبر وسائل الإعلام والتواصل الحديثة. هذا الانفتاح يُعرّض المسلمين، وخاصةً الشباب، لكم هائل من الأفكار والمعتقدات التي قد تتعارض مع تعاليم الإسلام، مما يُشكّل تحديًا للداعية في تقديم الدعوة بطريقة مُقنعة ومُناسبة.

٢. انتشار الشبهات والأفكار المُضلّة:

تنتشر عبر وسائل الإعلام والتواصل الحديثة شبهات وأفكار مُضلّة تُشكّك في ثوابت الدين وتُشوّه صورته. هذه الشبهات تصل إلى شرائح واسعة من الناس بسهولة وسرعة، مما يتطلب من الدعاة جهودًا مضاعفة في تفنيد هذه الشبهات وتقديم الحقائق بشكل واضح ومُبسط.

٣. ضعف الوازع الديني والانغماس في الشهوات:

يعاني الكثير من الناس في العصر الحالي من ضعف الوازع الديني والانغماس في الشهوات والمُغريات، مما يُصعّب عملية استجابتهم للدعوة والتزامهم بتعاليم الدين. هذا يتطلب من الدعاة استخدام أساليب دعوية مُؤثّرة تُخاطب القلوب وتُوقظ الضمائر.

٤. سيطرة الإعلام المُوجّه:

تسيطر بعض وسائل الإعلام على الرأي العام وتُوجّهه نحو أهداف مُعيّنة قد تتعارض مع قيم الإسلام. هذا يتطلب من الدعاة استخدام وسائل الإعلام البديلة لنشر الدعوة وتقديم الحقائق من منظور إسلامي.

٥. سرعة وتيرة الحياة وضغوطها:

تتميز الحياة في العصر الحالي بسرعة وتيرتها وكثرة ضغوطها، مما يجعل الكثير من الناس يشعرون بضيق الوقت وعدم القدرة على الالتزام بتكاليف الدين. هذا يتطلب من الدعاة تقديم الدعوة بطريقة مُيسّرة ومُناسبة لنمط الحياة السريع.

٦. تنوع وسائل التواصل وتعددها:

تتنوع وسائل التواصل وتتعدد في العصر الحالي، مما يتطلب من الدعاة استخدام هذه الوسائل بشكل فعّال للوصول إلى شرائح مختلفة من المدعوين.

٧. اختلاف الثقافات واللهجات:

يختلف الناس في ثقافاتهم ولهجاتهم، مما يتطلب من الدعاة استخدام لغة وخطاب مُناسبين لكل ثقافة ولهجة.

٨. بُعد الكثير من الناس عن اللغة العربية:

يُلاحظ بُعد الكثير من المسلمين عن اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، مما يُصعّب عليهم فهم نصوص الكتاب والسنة. هذا يتطلب من الدعاة تقديم الشرح والتفسير بلغات مختلفة.

٩. التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية:

تُؤثّر التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تُحيط بالمسلمين على استجابتهم للدعوة، وتُشكّل تحديًا أمام الدعاة في تطبيق مبدأ التدرج.

١٠. قلة الكفاءات الدعوية المُؤهّلة:

يُعاني العمل الدعوي في بعض الأحيان من قلة الكفاءات الدعوية المُؤهّلة القادرة على التعامل مع التحديات المعاصرة.

كيفية التعامل مع هذه التحديات:

- **فهم الواقع المعاصر جيدًا:** يجب على الدعاة فهم الواقع المعاصر جيدًا، ومعرفة التحديات التي تواجه الدعوة.

- **استخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة بحكمة**: يجب على الدعاة استخدام هذه الوسائل لنشر الدعوة وتقديم الحقائق بشكل مُناسب.

- **تطوير أساليب الدعوة لتُناسب العصر**: يجب على الدعاة تطوير أساليب دعوتهم لتُناسب العصر وتُخاطب مختلف الشرائح.

- **التركيز على التربية والتزكية**: يجب على الدعاة التركيز على تربية النفوس وتزكيتها، لتقوية الوازع الديني لدى الناس.

- **التعاون والتكامل بين الدعاة**: يجب على الدعاة التعاون والتكامل فيما بينهم لتوحيد الجهود وتحقيق أفضل النتائج.

- **إعداد الدعاة وتأهيلهم**: يجب الاهتمام بإعداد الدعاة وتأهيلهم لمواجهة التحديات المعاصرة.

- **الدعاء والتضرع إلى الله تعالى**: يجب على الدعاة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى أن يُعينهم ويُيسّر لهم طريق الدعوة.

من خلال فهم هذه التحديات والتعامل معها بحكمة ورويّة، يُمكن للدعاة تطبيق مبدأ التدرج في الدعوة بشكل فعّال ومُثمر في العصر المعاصر.

تطبيق التدرج في الدعوة في عصر العولمة

يشهدُ عصرُنا الحاليّ انفتاحًا عالميًا غيرَ مسبوقٍ، وتداخلًا ثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا هائلًا، يُعرفُ بالعولمةِ. وقد أثّرت هذهِ العولمةُ على جميعِ جوانبِ الحياةِ، بما في ذلكَ الدعوةُ الإسلاميةُ. فبينما فتحت العولمةُ آفاقًا واسعةً لنشرِ الدعوةِ عبرَ وسائلِ الإعلامِ والتواصلِ الحديثةِ، إلا أنها فرضت أيضًا تحدياتٍ جديدةً تتطلبُ من الدعاةِ فهمًا عميقًا للواقعِ وحكمةً في تطبيقِ منهجِ التدرجِ.

مجالات تطبيق التدرج في عصر العولمة:

يُمكنُ تطبيقُ التدرجِ في الدعوةِ في عصرِ العولمةِ في المجالاتِ التاليةِ:

١. **التدرج في عرض الإسلام:**

- **البدء بالمشتركات الإنسانية:** يُمكنُ البدءُ بالحديثِ عن القيمِ الإنسانيةِ المُشتركةِ بينَ جميعِ الثقافاتِ، كالعدلِ والصدقِ والأمانةِ والإحسانِ، ثمّ الربطُ بينَ هذهِ القيمِ وبينَ تعاليمِ الإسلامِ.
- **تقديم صورة حسنة عن الإسلام:** يجبُ تقديمُ صورةٍ صحيحةٍ وواضحةٍ عن الإسلامِ تُصحّحُ المفاهيمَ الخاطئةَ والصورَ النمطيةَ السلبيةَ التي تُروّجُ عنها في بعضِ وسائلِ الإعلامِ.
- **استخدام لغة عالمية مُفهَمة:** يجبُ استخدامُ لغةٍ عالميةٍ مُفهَمةٍ وواضحةٍ عندَ مخاطبةِ غيرِ المُسلمينَ، معَ تجنبِ المُصطلحاتِ الإسلاميةِ المُتخصّصةِ التي قد لا يفهمونها.

- **التركيز على الجوانب العملية والتطبيقية:** يُمكنُ التركيزُ على الجوانبِ العمليةِ والتطبيقيةِ في الإسلامِ التي تُلامسُ حياةَ الناسِ اليوميةَ، كأثرِ الإسلامِ في تحقيقِ السلامِ والعدلِ والتنميةِ المُستدامةِ.

٢. **التدرج في مخاطبة الثقافات المختلفة:**

- **فهم الثقافات الأخرى:** يجبُ على الداعيةِ أن يفهمَ الثقافاتِ الأخرى التي يدعوها، وأن يُراعيَ خصوصياتِها وقيمَها وعاداتِها.

- **استخدام الأساليب المناسبة لكل ثقافة:** يجبُ استخدامُ الأساليبِ الدعويةِ التي تُناسبُ كلّ ثقافةٍ، معَ تجنبِ الأساليبِ التي قد تُؤدّي إلى النفورِ أو سوءِ الفهمِ.

- **الاستعانة بالدعاة من أبناء الثقافات الأخرى:** يُمكنُ الاستعانةُ بالدعاةِ من أبناءِ الثقافاتِ الأخرى الذينَ يفهمونَ لغةَ وثقافةَ قومِهم، ممّا يُساعدُ على إيصالِ الدعوةِ بشكلٍ أفضلَ.

٣. **التدرج في استخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة:**

- **استخدام الوسائل المناسبة لكل فئة:** يجبُ اختيارُ الوسائلِ الإعلاميةِ والتواصليةِ التي تُناسبُ كلّ فئةٍ من المدعوينَ، فمثلاً، استخدامُ وسائلِ التواصلِ الاجتماعيّ للوصولِ إلى الشبابِ، واستخدامُ القنواتِ الفضائيةِ والمواقعِ الإلكترونيةِ للوصولِ إلى شرائحَ أوسعَ.

- **تقديم محتوى دعوي مُتنوّع وجذّاب:** يجبُ تقديمُ محتوى دعوي مُتنوّعٍ وجذّابٍ يُراعي اهتماماتِ المدعوينَ، كالمقاطعِ المرئيةِ والمقالاتِ والكتبِ الإلكترونيةِ والبرامجِ التفاعليةِ.

- **التفاعل مع المدعوين عبر وسائل التواصل:** يجبُ التفاعلُ معَ المدعوينَ عبرَ وسائلِ التواصلِ، والإجابةُ على تساؤلاتِهم وشُبهاتِهم، وخلقُ حوارٍ بنّاءٍ معهم.

٤. **التدرج في معالجة المشكلات المعاصرة:**

- **فهم أسباب المشكلات:** يجبُ فهمُ الأسبابِ الحقيقيةِ للمشاكلِ التي يُواجهها المُجتمعُ في عصرِ العولمةِ، قبلَ تقديمِ الحلولِ.

- **تقديم حلول إسلامية مُناسبة للواقع:** يجبُ تقديمُ حلولٍ إسلاميةٍ مُناسبةٍ للواقعِ المُعاصرِ، معَ مُراعاةِ الظروفِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والثقافيةِ.

- **التعاون مع المؤسسات والمنظمات الدولية:** يُمكنُ التعاونُ معَ المؤسساتِ والمنظماتِ الدوليةِ التي تُعنى بحلِّ المشاكلِ الإنسانيةِ، معَ الحرصِ على الالتزامِ بالثوابتِ الإسلاميةِ.

ضوابط تطبيق التدرج في عصر العولمة:

- **عدم التنازل عن الثوابت:** يجبُ الالتزامُ بالثوابتِ والأصولِ الإسلاميةِ وعدمُ التنازلِ عنها بحجةِ مُراعاةِ العولمةِ.

- **الاستفادة من إيجابيات العولمة مع تجنب سلبياتها:** يجبُ الاستفادةُ من الإيجابياتِ التي تُقدّمها العولمةُ في نشرِ الدعوةِ، معَ تجنبِ السلبياتِ التي تُؤثّرُ على قيمِ المُجتمعِ الإسلاميّ.

- **الاستشارة وأهل العلم والخبرة:** يجبُ استشارةُ أهلِ العلمِ والخبرةِ في كيفيةِ تطبيقِ التدرجِ في الدعوةِ في عصرِ العولمةِ.

يُعتبرُ تطبيقُ التدرجِ في الدعوةِ في عصرِ العولمةِ ضرورةً حتميةً لنجاحِ الدعوةِ وانتشارِها. فعلى الدعاةِ فهمُ تحدياتِ العصرِ واستخدامُ الأساليبِ المُناسبةِ لمخاطبةِ الناسِ باختلافِ ثقافاتِهم ولغاتِهم، معَ الالتزامِ بالثوابتِ الإسلاميةِ.

أساليب التدرج الحديثة في الدعوة

مع تطور وسائل الاتصال والتكنولوجيا، وظهور تحديات جديدة في العصر الحديث، أصبح من الضروري على الدعاة تطوير أساليبهم الدعوية لتناسب هذا العصر، مع الحفاظ على الثوابت والأصول الشرعية. وفيما يلي بعض أساليب التدرج الحديثة في الدعوة:

١. استخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة:

- **المنصات الرقمية:** استخدام منصات التواصل الاجتماعي (مثل فيسبوك، تويتر، انستغرام، يوتيوب، تيك توك) لنشر الدعوة وتقديم محتوى دعوي متنوع وجذاب، يتناسب مع طبيعة كل منصة.

- **المواقع الإلكترونية والتطبيقات**: إنشاء مواقع إلكترونية وتطبيقات للهواتف الذكية تقدم محتوى إسلامي هادف، يشمل المقالات والكتب والمحاضرات والبرامج التفاعلية.

- **البث المباشر والندوات الإلكترونية**: تنظيم ندوات ومحاضرات عبر الإنترنت، والبث المباشر للدروس والمحاضرات، مما يُتيح الوصول إلى جمهور أوسع.

- **الاستفادة من المؤثرين**: التعاون مع المؤثرين على وسائل التواصل الاجتماعي الذين يتمتعون بمصداقية وشعبية، لتقديم محتوى دعوي هادف.

٢. **تقديم محتوى دعوي مُتنوّع وجذّاب**:

- **المحتوى المرئي والمسموع**: إنتاج مقاطع فيديو قصيرة ومؤثرة، وبرامج إذاعية هادفة، وأناشيد إسلامية ذات معنى، لجذب انتباه الجمهور.

- **الإنفوجرافيك والرسوم التوضيحية**: استخدام الرسوم البيانية والتوضيحية (الإنفوجرافيك) لتبسيط المفاهيم الدينية وتقديم المعلومات بشكل جذاب.

- **القصص والتجارب الواقعية**: عرض قصص واقعية لتأثير الإسلام في حياة الناس، وعرض تجارب المُهتدين الجدد، مما يُقرّب المعاني إلى القلوب.

- **استخدام لغة العصر**: استخدام لغة بسيطة وواضحة، بعيدة عن التعقيد والمصطلحات المُتخصّصة، مع مُراعاة مُستوى فهم الجمهور.

٣. التفاعل والحوار البنّاء:

- **فتح قنوات للتواصل**: إنشاء صفحات وحسابات على وسائل التواصل الاجتماعي للتفاعل مع الجمهور والإجابة على تساؤلاتهم وشبهاتهم.

- **تشجيع الحوار والنقاش**: فتح باب الحوار والنقاش البنّاء مع المُخالفين، مع الحرص على استخدام الأسلوب الحسن والرفق واللين.

- **الاستماع للآخرين وفهم وجهات نظرهم**: قبل الرد على أي شبهة أو فكرة، يجب الاستماع جيداً للطرف الآخر وفهم وجهة نظره.

٤. التركيز على الجوانب العملية والتطبيقية:

- **تقديم حلول عملية لمشاكل الناس**: ربط تعاليم الإسلام بواقع حياة الناس، وتقديم حلول عملية لمشاكلهم اليومية، كالمشاكل الأسرية والاجتماعية والاقتصادية.

- **تشجيع العمل التطوعي والخيري**: حث الناس على المُشاركة في الأعمال التطوعية والخيرية، وتوجيه طاقاتهم لخدمة المُجتمع.

٥. **بناء الشراكات والتعاون مع المؤسسات:**

- **التعاون مع المؤسسات التعليمية والثقافية:** التعاون مع المدارس والجامعات والمراكز الثقافية لتقديم برامج وفعاليات دعوية هادفة.

- **التعاون مع المؤسسات الإعلامية:** التعاون مع القنوات الفضائية والإذاعات والمواقع الإلكترونية لنشر الدعوة وتقديم محتوى إعلامي هادف.

٦. **استخدام أساليب التعليم الحديثة:**

- **التعليم عن بعد:** استخدام منصات التعليم عن بعد لتقديم دورات ودروس إسلامية مُتخصّصة.

- **التعليم التفاعلي:** استخدام الأساليب التفاعلية في التعليم، كالألعاب التعليمية والتطبيقات التفاعلية، لجذب انتباه المُتعلّمين.

٧. **مُراعاة اختلاف الثقافات واللهجات:**

- **تقديم محتوى دعوي مُترجم:** ترجمة المحتوى الدعوي إلى لغات مختلفة للوصول إلى جمهور عالمي.

- **الاستعانة بدعاة من ثقافات مُختلفة:** الاستعانة بدعاة من ثقافات مُختلفة يفهمون لغة وثقافة قومهم.

٨. التأهيل والتدريب المُستمر للدعاة:

- **تطوير مهارات الدعاة:** تدريب الدعاة على استخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة، وعلى أساليب الحوار والإقناع، وعلى فهم الواقع المعاصر.
- **تأهيل الدعاة في العلوم الشرعية:** تعميق فهم الدعاة للعلوم الشرعية، ليكونوا قادرين على تقديم الدعوة بشكل صحيح ومُؤصّل.

أمثلة على التدرج في استخدام الوسائل الحديثة:

- البدء بصفحة بسيطة على فيسبوك تُقدّم منشورات قصيرة ومُؤثّرة، ثم التطور إلى إنشاء قناة على يوتيوب تُقدّم مقاطع فيديو مُتنوّعة.
- استخدام الرسائل النصية القصيرة للتذكير بأوقات الصلاة أو المناسبات الدينية، ثم التطور إلى استخدام تطبيقات التواصل الاجتماعي لإرسال رسائل أطول وأكثر تفصيلاً.

يجب على الدعاة في العصر الحديث أن يجمعوا بين الأصالة والمعاصرة، وأن يستخدموا الأساليب الحديثة في الدعوة، مع الحفاظ على الثوابت والأصول الشرعية، وأن يُراعيوا مُقتضيات التدرج في جميع مراحل دعوتهم.

التدرج في مخاطبة الشباب

يُعدّ الشبابُ عمادَ الأممِ ومُستقبلَها، وهم أكثرُ الفئاتِ الاجتماعيةِ تفاعلاً وتأثرًا بما يحيطُ بهم من مُتغيّراتٍ. ولذلكَ، فإنّ الدعوةَ إلى اللهِ تعالى بينَ هذهِ الفئةِ تحتاجُ إلى فهمٍ عميقٍ لخصائصِها واحتياجاتِها، واستخدامِ أساليبَ مُناسبةٍ تُراعي طبيعتَها. ويُعتبرُ التدرجُ من أهمِّ المناهجِ التي يجبُ اتباعُها في مخاطبةِ الشبابِ.

أهمية التدرج في مخاطبة الشباب:

تتجلى أهمية التدرج في مخاطبة الشباب في النقاط التالية:

- **مراعاة التغيّرات النفسية والاجتماعية:** يمرُّ الشبابُ بمرحلةٍ انتقاليةٍ حافلةٍ بالتغيّراتِ النفسيةِ والاجتماعيةِ، مما يتطلبُ من الداعيةِ فهمَ هذهِ التغيّراتِ ومُراعاتَها في خطابِهِ.

- **مواجهة التحديات المعاصرة:** يُواجهُ الشبابُ في العصرِ الحاليّ تحدياتٍ كبيرةً، كالانفتاحِ الثقافيّ والعولمةِ وانتشارِ الشبهاتِ، مما يتطلبُ من الداعيةِ استخدامَ أساليبَ مُناسبةٍ لمواجهةِ هذهِ التحدياتِ.

- **بناء الثقة والتواصل الفعّال:** يُساعدُ التدرجُ على بناءِ علاقةِ ثقةٍ بينَ الداعيةِ والشبابِ، ممّا يُسهّلُ عمليةَ التواصلِ والتأثيرِ.

- **تحقيق الاستمرارية والثبات:** يُساعدُ التدرجُ على تحقيقِ الاستمراريةِ والثباتِ في الالتزامِ بتعاليمِ الدينِ، حيثُ يبدأُ الشبابُ بأمورٍ بسيطةٍ ثمّ يتدرجونَ في الالتزامِ.

مظاهر التدرج في مخاطبة الشباب:

- **البدءُ بالأساسيات:** يبدأُ الداعيةُ بتعليمِ الشبابِ أصولَ الدينِ وقواعدَهُ الكبرى، كالتوحيدِ وأركانِ الإسلامِ والإيمانِ، ثمّ يتدرجُ في تعليمِهم بقيةَ الأحكامِ والتعاليمِ.

- **استخدام لغة العصر:** يجبُ استخدامُ لغةٍ بسيطةٍ وواضحةٍ يفهمُها الشبابُ، معَ تجنبِ المُصطلحاتِ المُعقدةِ أو القديمةِ التي قد لا يفهمونها.

- **مخاطبة العقل والقلب معًا:** يجبُ على الداعيةِ أن يُخاطبَ عقلَ الشبابِ وقلبَهُ في آنٍ واحدٍ، باستخدامِ الأدلةِ والبراهينِ العقليةِ والمواعظِ والقصصِ المُؤثّرةِ.

- **استخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة:** يجبُ استخدامُ وسائلِ الإعلامِ والتواصلِ الحديثةِ التي يستخدمُها الشبابُ، كمنصاتِ التواصلِ الاجتماعيّ والمواقعِ الإلكترونيةِ والتطبيقاتِ الذكيةِ، لنشرِ الدعوةِ وتقديمِ محتوىً دعويّ مُتنوّعٍ وجذّابٍ.

- **القدوة الحسنة:** يُعتبرُ الداعيةُ قدوةً حسنةً للشبابِ، فيجبُ أن يكونَ مُلتزمًا بتعاليمِ الدينِ في أقوالِهِ وأفعالِهِ.

- **الحوار والنقاش البناء:** يجبُ فتحُ بابِ الحوارِ والنقاشِ البناءِ معَ الشبابِ، والاستماعُ إلى آرائِهم وتساؤلاتِهم وشُبهاتِهم، والإجابةُ عليها بصدرٍ رحبٍ وحكمةٍ ورويّةٍ.

- **التركيز على الجوانب العملية والتطبيقية:** يجبُ التركيزُ على الجوانبِ العمليةِ والتطبيقيةِ في الدينِ، وربطُها بواقعِ حياةِ الشبابِ ومشاكلِهم واهتماماتِهم.

- **تشجيع العمل التطوعي والخيري:** يُمكنُ تشجيعُ الشبابِ على المُشاركةِ في الأعمالِ التطوعيةِ والخيريةِ، واستغلالِ طاقاتِهم في خدمةِ الدينِ والمُجتمعِ.

- **مُراعاة الفروق الفردية:** يختلفُ الشبابُ في مستوياتِ فهمِهم واستعدادِهم والتزامِهم، فيجبُ على الداعيةِ مُراعاةَ هذهِ الفروقِ الفرديةِ في خطابِهِ.

أمثلة على التدرج في مخاطبة الشباب:

- البدءُ بتعليمِهم أركانَ الإسلامِ والإيمانِ، ثمّ تشجيعُهم على الالتزامِ بالصلاةِ في وقتِها، ثمّ حثُّهم على حفظِ القرآنِ الكريمِ، ثمّ دعوتُهم إلى المُشاركةِ في الأعمالِ الخيريةِ.

- استخدامُ القصصِ الواقعيةِ عن شبابٍ كانوا مُنحرفينَ ثمّ اهتدوا إلى طريقِ الحقّ، لتقريبِ المعاني إلى قلوبِ الشبابِ.

- تنظيمُ مُخيماتٍ وفعالياتٍ شبابيةٍ تُركّزُ على التربيةِ الإيمانيةِ وتنميةِ المهاراتِ الحياتيةِ.

- استخدامُ وسائلِ التواصلِ الاجتماعيّ لنشرِ رسائلَ قصيرةٍ ومُؤثّرةٍ تُخاطبُ اهتماماتِ الشبابِ.

ضوابط التدرج في مخاطبة الشباب:

- **عدم التنازل عن الثوابت:** لا يجوزُ التنازلُ عن شيءٍ من الدينِ أو تحريفُهُ بحجةِ مُراعاةِ الشبابِ.

- **الاستشارة وأهل العلم والخبرة:** يُستحسنُ استشارةُ أهلِ العلمِ والخبرةِ في كيفيةِ التعاملِ معَ الشبابِ.

- **الصدق والإخلاص:** يجبُ أن يكونَ الداعيةُ صادقًا مُخلصًا في دعوتِهِ، وأن يحرصَ على هدايةِ الشبابِ.

يُعتبرُ التدرجُ في مخاطبةِ الشبابِ من أهمِّ عواملِ نجاحِ الدعوةِ بينَ هذهِ الفئةِ. فعلى الدعاةِ فهمُ خصائصِ الشبابِ واحتياجاتِهم، واستخدامُ الأساليبِ المُناسبةِ لمخاطبتِهم، معَ مُراعاةِ الضوابطِ الشرعيةِ.

الفصل الخامس: التدرج في الدعوة من منظور فقه الواقع

أهمية فقه الواقع في الدعوة

يُعتبرُ فقهُ الواقعِ من الأهميةِ بمكانٍ في نجاحِ الدعوةِ الإسلاميةِ، فهو يُساعدُ الداعيةَ على فهمِ الواقعِ الذي يعيشُ فيهِ المدعوون، ومعرفةِ ظروفِهم وأحوالِهم وتحدياتِهم، ممّا يُمكنهُ من تقديمِ الدعوةِ بطريقةٍ مُناسبةٍ ومُؤثّرةٍ. ولا يكتملُ تطبيقُ منهجِ التدرجِ في الدعوةِ إلا بفهمٍ عميقٍ للواقعِ.

مفهوم فقه الواقع:

يُمكنُ تعريفُ فقهِ الواقعِ بأنّهُ: "الفهمُ الصحيحُ للواقعِ المُعاشِ، بجميعِ جوانبهِ وظروفِهِ المُحيطةِ، من أجلِ تنزيلِ الأحكامِ الشرعيةِ عليهِ تنزيلاً صحيحًا، وتحقيقِ المصالحِ ودرءِ المفاسدِ".

ويشملُ فقهُ الواقعِ:

- **فهمَ الواقعِ الاجتماعيّ**: من خلالِ معرفةِ عاداتِ الناسِ وتقاليدِهم وأعرافِهم وقيمِهم.
- **فهمَ الواقعِ الثقافيّ**: من خلالِ معرفةِ مُستوى التعليمِ والثقافةِ السائدةِ في المُجتمعِ، وانتشارِ الأفكارِ والمعتقداتِ.
- **فهمَ الواقعِ السياسيّ والاقتصاديّ**: من خلالِ معرفةِ الأوضاعِ السياسيةِ والاقتصاديةِ التي تُؤثّرُ على حياةِ الناسِ.

- **فهمَ الواقعِ الإعلاميّ والتكنولوجيّ**: من خلالِ معرفةِ وسائلِ الإعلامِ والتواصلِ المُستخدمةِ وتأثيرِها على الناسِ.

أهمية فقه الواقع في الدعوة:

- **تحديد الأولويات**: يُساعدُ فقهُ الواقعِ الداعيةَ على تحديدِ الأولوياتِ في الدعوةِ، والبدءِ بما هو أهمُّ وأكثرُ إلحاحًا في واقعِ المُجتمعِ.
- **اختيار الأساليب المناسبة**: يُمكنُ الداعيةَ من اختيارِ الأساليبِ الدعويةِ المُناسبةِ لكلِّ فئةٍ من المدعوينَ، ولكلِّ ظرفٍ من الظروفِ.
- **معالجة المشكلات بشكل فعّال**: يُساعدُ على فهمِ أسبابِ المشاكلِ الاجتماعيةِ وتقديمِ الحلولِ المُناسبةِ لها.
- **تجنب الصدام والمواجهة غير المُثمرة**: يُساعدُ على تجنبِ الصدامِ والمواجهةِ غيرِ المُثمرةِ معَ المُخالفينَ، واختيارِ الأساليبِ الأكثرِ تأثيرًا وإقناعًا.
- **تحقيق المصالح ودرء المفاسد**: يُساعدُ على تحقيقِ المصالحِ الشرعيةِ ودرءِ المفاسدِ في واقعِ المُجتمعِ.
- **تنزيل الأحكام الشرعية على الواقع تنزيلاً صحيحاً**: يُساعدُ على فهمِ كيفيةِ تطبيقِ الأحكامِ الشرعيةِ في الواقعِ المُعاشِ، معَ مُراعاةِ الظروفِ والأحوالِ.

علاقة فقه الواقع بالتدرج في الدعوة:

يُعتبرُ فقهُ الواقعِ أساسًا مهمًا لتطبيقِ التدرجِ في الدعوةِ، حيثُ يُساعدُ الداعيةَ على:

- **فهم مستوى المدعوين:** يُمكنُ الداعيةَ من فهمِ مُستوى المدعوينَ الفكريّ والثقافيّ والاجتماعيّ، ممّا يُساعدهُ على اختيارِ الأسلوبِ المُناسبِ في الدعوةِ.

- **تحديد المراحل المناسبة للتدرج:** يُساعدُ على تحديدِ المراحلِ المُناسبةِ للتدرجِ في الدعوةِ، والبدءِ بما يُناسبُ حالَ المدعوينَ.

- **معرفة التحديات التي تواجه المدعوين:** يُمكنُ الداعيةَ من معرفةِ التحدياتِ التي تُواجهُ المدعوينَ، وتقديمِ الحلولِ المُناسبةِ لها بشكلٍ مُتدرجٍ.

أمثلة على تطبيق فقه الواقع في التدرج في الدعوة:

- عندَ دعوةِ مُجتمعٍ ينتشرُ فيهِ الجهلُ بأحكامِ الدينِ، يبدأُ الداعيةُ بتعليمِهم أصولَ الدينِ وأركانَ الإسلامِ، ثمّ يتدرجُ في تعليمِهم بقيةَ الأحكامِ.

- عندَ دعوةِ مُجتمعٍ يعيشُ في ظروفٍ اقتصاديةٍ صعبةٍ، يُركّزُ الداعيةُ على الجوانبِ التي تُساعدُهم على تحسينِ أوضاعِهم المعيشيةِ، كالحثّ على العملِ والكسبِ الحلالِ، والتكافلِ الاجتماعيّ.

- عندَ دعوةِ شبابٍ مُنغمسٍ في وسائلِ التواصلِ الاجتماعيّ، يستخدمُ الداعيةُ هذهِ الوسائلَ لنشرِ الدعوةِ وتقديمِ محتوىً دعويٍّ مُناسبٍ لهم.

ضوابط فقه الواقع:

- **الرجوع إلى أهل العلم والاختصاص:** يجبُ الرجوعُ إلى أهلِ العلمِ والاختصاصِ في فهمِ الواقعِ وتحديدِ الأحكامِ الشرعيةِ المُناسبةِ لهُ.
- **الاعتماد على المصادر الموثوقة:** يجبُ الاعتمادُ على المصادرِ الموثوقةِ في جمعِ المعلوماتِ عن الواقعِ.
- **العدل والإنصاف في تقييم الواقع:** يجبُ أن يكونَ تقييمُ الواقعِ عادلاً ومُنصفًا، بعيدًا عن التحيّزِ والتعصبِ.

يُعتبرُ فقهُ الواقعِ من الأدواتِ المهمةِ التي يجبُ على الداعيةِ امتلاكُها، فهو يُساعدُهُ على فهمِ الواقعِ وتقديمِ الدعوةِ بطريقةٍ مُناسبةٍ ومُؤثّرةٍ. ولا يكتملُ تطبيقُ منهجِ التدرجِ في الدعوةِ إلا بفهمٍ عميقٍ للواقعِ ومُراعاةِ ظروفِهِ وأحوالِهِ.

التدرج في الدعوة في مختلف السياقات الاجتماعية

يُعدّ التدرجُ في الدعوةِ منهجًا شاملاً يُمكنُ تطبيقُهُ في مُختلفِ السياقاتِ الاجتماعيةِ، معَ مُراعاةِ خصوصيةِ كلّ سياقٍ وظروفِهِ وتحدياتِهِ. فالمُجتمعُ ليسَ كتلةً واحدةً، بل يتكوّنُ من فئاتٍ مُختلفةٍ، لكلٍّ منها خصائصُها واحتياجاتُها. ولذلكَ، يجبُ على الداعيةِ أن يكونَ مُلمًّا بفقهِ الواقعِ الاجتماعيّ، وأن يُكيّفَ أساليبَ دعوتِهِ لتُناسبَ كلّ سياقٍ.

أمثلة على التدرج في الدعوة في سياقات اجتماعية مختلفة:

١. **التدرج في الدعوة في المُجتمعِ المُحافظِ:**

- **البدءُ بالثوابتِ المُتفقِ عليها:** في المُجتمعاتِ المُحافظةِ التي تُقدّرُ الدينَ والأخلاقَ، يُمكنُ البدءُ بالحديثِ عن الثوابتِ المُتفقِ عليها بينَ الناسِ، كأهميةِ الصدقِ والأمانةِ والإحسانِ، ثمّ الربطُ بينَ هذهِ القيمِ وبينَ تعاليمِ الإسلامِ.

- **استخدامُ لغةٍ مُناسبةٍ:** يجبُ استخدامُ لغةٍ مُناسبةٍ تُراعي أعرافَ المُجتمعِ وتقاليدَهُ، معَ تجنبِ الأساليبِ التي قد تُعتبرُ مُستفزةً أو مُخالفةً للأعرافِ.

- **التركيزُ على القدوةِ الحسنةِ:** يُعتبرُ الداعيةُ قدوةً حسنةً في المُجتمعِ المُحافظِ، فيجبُ أن يكونَ مُلتزمًا بتعاليمِ الدينِ في جميعِ جوانبِ حياتِهِ.

٢. **التدرج في الدعوة في المُجتمعِ المنفتحِ:**

- **التركيزُ على الحوارِ والإقناعِ:** في المُجتمعاتِ المنفتحةِ التي تُقدّرُ الحُريةَ والتعبيرَ عن الرأيِ، يجبُ التركيزُ على الحوارِ والإقناعِ، واستخدامِ الأدلةِ والبراهينِ العقليةِ والمَنطقيةِ.

- **مواجهةُ الشبهاتِ والأفكارِ المُضلّلةِ:** يجبُ على الداعيةِ أن يكونَ مُستعدًا لمواجهةِ الشبهاتِ والأفكارِ المُضلّلةِ التي قد تُثارُ حولَ الإسلامِ، وتقديمِ الردودِ العلميةِ والمُقنعةِ.

- **استخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة:** يُمكنُ استخدامُ وسائلِ الإعلامِ والتواصلِ الحديثةِ للوصولِ إلى شرائحَ مُختلفةٍ من المُجتمعِ المنفتحِ، وتقديمِ محتوىً دعويٍّ مُتنوّعٍ وجذّابٍ.

٣. **التدرج في الدعوة بينَ الشبابِ:** (وقد تمّ تفصيلُها في قسمٍ سابقٍ)

٤. **التدرج في الدعوة بينَ النساء:**

- **مُراعاة خصوصية المرأة:** يجبُ مُراعاةُ خصوصيةِ المرأةِ واحتياجاتِها وظروفِها عندَ دعوتِها.

- **استخدام أساليب مُناسبة:** يُمكنُ استخدامُ أساليبَ مُناسبةٍ لمخاطبةِ النساء، كالتركيزِ على الجوانبِ العاطفيةِ والإنسانيةِ، وتقديمِ النماذجِ النسائيةِ المُشرّفةِ في التاريخِ الإسلاميّ.

- **توفير الداعيات المُتخصّصات:** يُفضّلُ توفيرُ داعياتٍ مُتخصّصاتٍ في الدعوةِ بينَ النساء، لفهمِ احتياجاتِهنّ بشكلٍ أفضلَ.

٥. **التدرج في الدعوة بينَ غير المُسلمين:**

- **البدء بالمشتركات الإنسانية:** يُمكنُ البدءُ بالحديثِ عن القيمِ الإنسانيةِ المُشتركةِ، كالعدلِ والصدقِ والأمانةِ والإحسانِ.

- **تقديم صورة حسنة عن الإسلام:** يجبُ تقديمُ صورةٍ صحيحةٍ وواضحةٍ عن الإسلامِ تُصحّحُ المفاهيمَ الخاطئةَ.

- **استخدام لغة عالمية مُفهَمة:** يجبُ استخدامُ لغةٍ عالميةٍ مُفهَمةٍ وواضحةٍ، معَ تجنبِ المُصطلحاتِ الإسلاميةِ المُتخصّصةِ.

- **التركيز على الأدلة العقلية والمنطقية:** يُمكنُ التركيزُ على الأدلةِ العقليةِ والمَنطقيةِ التي تُثبتُ وجودَ اللهِ ووحدانيتِهِ، وصدقَ رسالةِ الإسلامِ.

ضوابط التدرج في مختلف السياقات الاجتماعية:

- **الالتزام بالثوابت الشرعية:** يجبُ الالتزامُ بالثوابتِ والأصولِ الإسلاميةِ في جميعِ السياقاتِ.

- **مراعاة المصلحة ودرء المفسدة:** يجبُ مُراعاةُ المصلحةِ ودرءِ المفسدةِ في اختيارِ الأساليبِ الدعويةِ.

- **الاستشارة وأهل العلم والخبرة:** يُستحسنُ استشارةُ أهلِ العلمِ والخبرةِ في كيفيةِ التعاملِ معَ مُختلفِ السياقاتِ الاجتماعيةِ.

يُعتبرُ التدرجُ في الدعوةِ منهجًا مُرنًا يُمكنُ تطبيقُهُ في مُختلفِ السياقاتِ الاجتماعيةِ، معَ مُراعاةِ خصوصيةِ كلِّ سياقٍ. فعلى الداعيةِ أن يكونَ مُلمًا بفقهِ الواقعِ الاجتماعيِّ، وأن يُكيّفَ أساليبَ دعوتِهِ لتُناسبَ كلّ فئةٍ من المدعوينَ، معَ الالتزامِ بالضوابطِ الشرعيةِ.

دور الداعية في تسهيل التدرج في الدعوة

يُعتبرُ الداعيةُ الركيزةَ الأساسيةَ في عمليةِ الدعوةِ إلى اللهِ تعالى، ودورُهُ حاسمٌ في تسهيلِ تطبيقِ منهجِ التدرجِ وإنجاحِهِ. فالداعيةُ هو الذي يُكيّفُ أساليبَ الدعوةِ ويُراعي أحوالَ المدعوينَ ويُطبّقُ قواعدَ التدرجِ بحكمةٍ ورويّةٍ.

أهمية دور الداعية في تسهيل التدرج:

- **الفهم العميق لمنهج التدرج:** يجبُ على الداعيةِ أن يفهمَ منهجَ التدرجِ فهمًا عميقًا وشاملاً، وأن يُدركَ أهميتَهُ وضوابطَهُ وأساليبَهُ.
- **معرفة الواقع وفقهه:** يجبُ أن يكونَ الداعيةُ مُلمًّا بفقهِ الواقعِ، وأن يفهمَ ظروفَ المُجتمعِ وأحوالَ المدعوينَ وتحدياتِهم.
- **القدرة على التكييف والتطويع:** يجبُ أن يكونَ الداعيةُ قادرًا على تكييفِ أساليبِ الدعوةِ وتطويعِها لتُناسبَ مُختلفَ السياقاتِ الاجتماعيةِ والفئاتِ العُمريةِ.
- **التحلي بالصبر والحكمة:** يجبُ أن يتحلّى الداعيةُ بالصبرِ والحكمةِ والرفقِ واللينِ في دعوتِهِ، وأن يتجنّبَ العُنفَ والشدةَ والاستعجالَ.

مهام الداعية في تسهيل التدرج:

١. **تحديد الأولويات:** يُساعدُ الداعيةُ المدعوينَ على تحديدِ الأولوياتِ في الدينِ، والبدءِ بما هو أهمٌ وأكثرُ إلحاحًا، كالتوحيدِ وأركانِ الإسلامِ.

٢. **تبسيط المفاهيم:** يُبسّطُ الداعيةُ المفاهيمَ الدينيةَ ويُقدّمُها بطريقةٍ سهلةٍ وواضحةٍ تُناسبُ مُستوى فهمِ المدعوينَ.

٣. **مراعاة الفروق الفردية:** يُراعي الداعيةُ الفروقَ الفرديةَ بينَ المدعوينَ، فيُخاطبُ كلّ فئةٍ بما يُناسبُها من العلمِ والفهمِ والاستعدادِ.

٤. **التدرج في عرض الأحكام:** يُقدّمُ الداعيةُ الأحكامَ الشرعيةَ بشكلٍ مُتدرجٍ، معَ البدءِ بالأصولِ والكلياتِ ثمّ الانتقالِ إلى الفروعِ والتفصيلاتِ.

٥. **التدرج في المطالبة بالالتزام:** لا يُطالبُ الداعيةُ المدعوينَ بالالتزامِ الكاملِ دفعةً واحدةً، بل يُشجّعُهم على البدءِ بالقدرِ المُستطاعِ ثمّ التدرجِ في الالتزامِ.

٦. **استخدام الوسائل المناسبة:** يختارُ الداعيةُ الوسائلَ الدعويةَ المُناسبةَ لكلّ مرحلةٍ من مراحلِ التدرجِ، ولكلّ فئةٍ من المدعوينَ.

٧. **تقديم القدوة الحسنة:** يُعتبرُ الداعيةُ قدوةً حسنةً للمدعوينَ، فيجبُ أن يكونَ مُلتزمًا بتعاليمِ الدينِ في أقوالِهِ وأفعالِهِ.

٨. **تشجيع الحوار والنقاش البناء:** يُشجّعُ الداعيةُ الحوارَ والنقاشَ البناءَ معَ المدعوينَ، ويُجيبُ على تساؤلاتِهم وشُبهاتِهم بصدرٍ رحبٍ وحكمةٍ ورويّةٍ.

٩. **الصبر والمثابرة:** يتحلّى الداعيةُ بالصبرِ والمثابرةِ في دعوتِهِ، ولا ييأسُ من هدايةِ المدعوينَ.

١٠. **الاستعانة بالوسائل الحديثة:** يستخدمُ الداعيةُ الوسائلَ الإعلاميةَ والتواصليةَ الحديثةَ لنشرِ الدعوةِ وتقديمِ محتوىً دعويٍّ مُتنوّعٍ وجذّابٍ.

١١. **التعاون مع الدعاة الآخرين:** يتعاونُ الداعيةُ معَ الدعاةِ الآخرينَ لتبادلِ الخبراتِ وتوحيدِ الجهودِ.

١٢. **التطوير المستمر للذات:** يسعى الداعيةُ إلى التطويرِ المُستمرِ لذاتِهِ، من خلالِ طلبِ العلمِ واكتسابِ المهاراتِ الدعويةِ.

أمثلة على دور الداعية في تسهيل التدرج:

- عندما يدعو الداعيةُ شخصًا مُدمنًا على التدخينِ، لا يُطالبُهُ بالإقلاعِ عن التدخينِ دفعةً واحدةً، بل يُشجّعُهُ على التقليلِ من عددِ السجائرِ تدريجيًا، ويُقدّمُ لهُ النصائحَ والإرشاداتِ التي تُساعدُهُ على ذلكَ.
- عندما يدعو الداعيةُ شخصًا مُقصّرًا في الصلاةِ، لا يُوبّخُهُ أو يُعاتبُهُ بشدةٍ، بل يُذكّرُهُ بأهميةِ الصلاةِ وفضلِها، ويُشجّعُهُ على البدءِ بصلاةِ فرضٍ واحدٍ ثمّ التدرجِ في الالتزامِ ببقيةِ الصلواتِ.

- عندما يدعو الداعيةُ مجموعةً من الشبابِ، يستخدمُ لغةً يفهمونها ويُخاطبُ اهتماماتِهم، ويستخدمُ وسائلَ التواصلِ الاجتماعيِّ التي يستخدمونها لنشرِ الدعوةِ.

يُعتبرُ الداعيةُ عاملاً حاسمًا في تسهيلِ تطبيقِ منهجِ التدرجِ في الدعوةِ. فعلى الدعاةِ فهمُ هذا المنهجِ فهمًا عميقًا، والتحلي بالصفاتِ الحميدةِ، واكتسابُ المهاراتِ الدعويةِ، ليُؤدّوا رسالتَهم على أكملِ وجهٍ ويُحقّقوا أفضلَ النتائجِ.

الخاتمة: أبرز النتائج

بعد هذا العرض المفصل لموضوع التدرج في الدعوة الإسلامية، من حيث مفهومه وأهميته وأسسه وقواعده وتطبيقاته في مختلف السياقات، نخلص إلى جملة من النتائج الهامة التي تُبرز مكانة هذا المنهج وأثره في نجاح الدعوة:

أولاً: مفهوم التدرج وأهميته:

- التدرج في الدعوة ليس مجرد أسلوب دعوي، بل هو منهج رباني وهدي نبوي، يهدف إلى تيسير قبول الدين وتطبيقه في الواقع.
- التدرج يعني التقدم بالمدعو شيئاً فشيئاً نحو الالتزام الكامل، مع مراعاة أحواله وقدراته واستعداده.
- التدرج يُخفف عن المدعوين ولا يُحمّلهم ما لا يُطيقون، مما يُساعد على تثبيت الإيمان في قلوبهم.

- التدرج يُجنّب النفور والصد عن الدين، ويُشجّع على الاستمرار والثبات على طريق الهداية.

ثانياً: أسس وقواعد التدرج:

- يقوم التدرج على أسس راسخة مستمدة من الكتاب والسنة، كالوحي الإلهي والهدي النبوي ومراعاة طبيعة النفس البشرية وفقه الأولويات.

- يحكم التدرج قواعد وضوابط تُعين الداعية على تطبيقه بشكل صحيح وفعال، كالتبدء بالأهم فالمهم وبالأصول قبل الفروع وبالأسهل قبل الأصعب.

- من أهم قواعد التدرج: مراعاة أحوال المدعوين وقدراتهم، والتيسير وعدم التعسير، والرفق واللين في الدعوة، والحكمة في اختيار الوقت والمكان المناسبين.

ثالثاً: تطبيق التدرج في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:

- كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في تطبيق منهج التدرج في دعوته، وقد تجلى ذلك في مواقف وأحداث كثيرة من سيرته وسنته.

- من الأمثلة الواضحة على التدرج في السنة النبوية: التدرج في فرض الصلاة وتحريم الخمر، ودعوة معاذ بن جبل إلى اليمن، والتعامل مع حديثي الإسلام.

رابعاً: تطبيق التدرج في العصر المعاصر:

- يواجه تطبيق التدرج في العصر الحالي تحديات متنوعة، كالانفتاح الثقافي وانتشار الشبهات وضعف الوازع الديني وسيطرة الإعلام الموجه.
- يجب على الدعاة فهم هذه التحديات واستخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة بحكمة، وتطوير أساليب الدعوة لتناسب العصر.
- يُمكن تطبيق التدرج في مختلف السياقات الاجتماعية، مع مراعاة خصوصية كل سياق وظروفه وتحدياته.
- من الأساليب الحديثة للتدرج: استخدام المنصات الرقمية والمواقع الإلكترونية والتطبيقات، وتقديم محتوى دعوي متنوع وجذاب، والتفاعل والحوار البناء، والتركيز على الجوانب العملية والتطبيقية.

خامساً: دور الداعية في تسهيل التدرج:

- يُعتبر الداعية الركيزة الأساسية في عملية الدعوة، ودوره حاسم في تسهيل تطبيق منهج التدرج وإنجاحه.
- يجب على الداعية فهم منهج التدرج فهمًا عميقًا، ومعرفة الواقع وفقهه، والقدرة على التكييف والتطويع، والتحلي بالصبر والحكمة.
- من مهام الداعية في تسهيل التدرج: تحديد الأولويات، وتبسيط المفاهيم، ومراعاة الفروق الفردية، والتدرج في عرض الأحكام والمطالبة بالالتزام، واستخدام الوسائل المناسبة، وتقديم القدوة الحسنة، وتشجيع الحوار والنقاش البناء.

سادساً: أهمية فقه الواقع في التدرج:

- يُعتبر فقه الواقع أساساً مهماً لتطبيق التدرج في الدعوة، حيث يُساعد الداعية على فهم مستوى المدعوين وتحديد المراحل المناسبة للتدرج ومعرفة التحديات التي تواجههم.
- يُساعد فقه الواقع على اختيار الأساليب الدعوية المناسبة لكل فئة من المدعوين ولكل ظرف من الظروف، ومعالجة المشكلات بشكل فعال، وتجنب الصدام والمواجهة غير المثمرة.

توصيات:

- حث الدعاة على فهم منهج التدرج وتطبيقه في دعوتهم، مع مراعاة الضوابط الشرعية وفقه الواقع.
- تطوير برامج تدريبية للدعاة تُركز على تعليمهم منهج التدرج وأساليبه وتطبيقاته.
- تشجيع الباحثين على إجراء المزيد من الدراسات حول التدرج في الدعوة في مختلف السياقات المعاصرة.
- الاستفادة من وسائل الإعلام والتواصل الحديثة لنشر الوعي بأهمية التدرج في الدعوة.

نسأل الله تعالى أن يُوفقنا لما فيه الخير والصلاح، وأن يجعلنا من الدعاة إليه على بصيرة، وأن يُنفع بهذه الدراسة ويجعلها خالصة لوجهه الكريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التوصيات

بعد هذا البحث المُفصّل حول التدرج في الدعوة الإسلامية، نُقدّمُ جملةً من التوصياتِ التي نرى أهميةَ الأخذِ بها لتفعيلِ هذا المنهجِ وتحقيقِ أهدافِهِ:

أولاً: على مستوى الدعاة والمؤسسات الدعوية:

١. **التأصيل العلمي لمنهج التدرج:** ضرورةُ الاهتمامِ بالتأصيلِ العلميّ لمنهجِ التدرجِ في الدعوةِ، من خلالِ دراسةِ الكتابِ والسنةِ وسيرةِ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وفهمِ قواعدِهِ وضوابطِهِ.

٢. **إعداد برامج تدريبية متخصصة:** إنشاءُ برامجَ تدريبيةٍ مُتخصّصةٍ للدعاةِ تُركّزُ على تعليمِهم منهجَ التدرجِ وأساليبَهُ وتطبيقاتِهِ في مُختلفِ السياقاتِ.

٣. **تطوير المناهج الدعوية:** ضرورةُ تطويرِ المناهجِ الدعويةِ لتشملَ منهجَ التدرجِ كأحدِ المناهجِ الأساسيةِ، معَ تضمينِها أمثلةً ونماذجَ عمليةً لتطبيقِهِ.

٤. **الاهتمام بفقه الواقع:** حثُّ الدعاةِ على الاهتمامِ بفقهِ الواقعِ وفهمِ ظروفِ المُجتمعِ وأحوالِ المدعوينَ وتحدياتِهم، واستخدامِ هذهِ المعرفةِ في تطبيقِ منهجِ التدرجِ.

٥. **التواصل وتبادل الخبرات:** تشجيعُ التواصلِ وتبادلِ الخبراتِ بينَ الدعاةِ والمؤسساتِ الدعويةِ، للاستفادةِ من التجاربِ الناجحةِ وتطويرِ العملِ الدعويّ.

٦. **استخدام الوسائل الحديثة:** ضرورةُ استخدامِ الوسائلِ الإعلاميةِ والتواصليةِ الحديثةِ لنشرِ الدعوةِ وتقديمِ محتوىً دعويٍّ مُتنوّعٍ وجذّابٍ، معَ مُراعاةِ منهجِ التدرجِ في استخدامِ هذهِ الوسائلِ.

٧. **التركيز على بناء القدوة الحسنة:** حثُّ الدعاةِ على أن يكونوا قدوةً حسنةً للمدعوينَ، من خلالِ الالتزامِ بتعاليمِ الدينِ في أقوالِهم وأفعالِهم.

٨. **التعاون والتكامل بين المؤسسات الدعوية:** تشجيعُ التعاونِ والتكاملِ بينَ المؤسساتِ الدعويةِ لتوحيدِ الجهودِ وتحقيقِ أهدافِ الدعوةِ.

ثانياً: على مستوى الباحثين والدارسين:

١. **إجراء المزيد من الدراسات:** تشجيعُ الباحثينَ على إجراءِ المزيدِ من الدراساتِ حولَ التدرجِ في الدعوةِ في مُختلفِ السياقاتِ المعاصرةِ، وتقديمِ نماذجَ عمليةٍ لتطبيقِهِ.

٢. **تأصيل قواعد التدرج:** العملُ على تأصيلِ قواعدِ التدرجِ وضوابطِهِ تأصيلاً علمياً مُستنداً إلى الكتابِ والسنةِ.

٣. **دراسة تطبيقات التدرج في التاريخ الإسلامي:** إجراءُ دراساتٍ حولَ تطبيقاتِ التدرجِ في الدعوةِ في التاريخِ الإسلاميّ، للاستفادةِ من تجاربِ السابقينَ.

٤. **مقارنة منهج التدرج بالمناهج الدعوية الأخرى:** إجراءُ دراساتٍ مُقارنةٍ بينَ منهجِ التدرجِ والمناهجِ الدعويةِ الأخرى، لبيانِ مُميزاتِهِ وأهميتِهِ.

ثالثاً: على مستوى المُجتمع:

١. **نشر الوعي بأهمية التدرج:** نشرُ الوعي بينَ أفرادِ المُجتمعِ بأهميةِ منهجِ التدرجِ في الدعوةِ، وفوائدِهِ في تيسيرِ قبولِ الدينِ وتطبيقِهِ.

٢. **تشجيع الحوار والتفاهم:** تشجيعُ الحوارِ والتفاهمِ بينَ مُختلفِ فئاتِ المُجتمعِ، ونبذُ التعصبِ والتطرفِ.

٣. **دعم المؤسسات الدعوية:** دعمُ المؤسساتِ الدعويةِ التي تعملُ على نشرِ الدعوةِ الإسلاميةِ بطريقةٍ صحيحةٍ ومُعتدلةٍ.

رابعاً: على مستوى وسائل الإعلام:

١. **تقديم برامج دعوية هادفة:** حثُّ وسائلِ الإعلامِ على تقديمِ برامجَ دعويةٍ هادفةٍ تُراعي منهجَ التدرجِ وتُخاطبُ مُختلفَ فئاتِ المُجتمعِ.

٢. **تجنب الخطاب المتطرف:** تجنبُ الخطابِ المُتطرفِ الذي يُؤدّي إلى النفورِ والصدِّ عن الدينِ.

٣. **الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي:** استخدامُ وسائلِ التواصلِ الاجتماعيِّ لنشرِ الوعي بأهميةِ التدرجِ في الدعوةِ وتقديمِ محتوىً دعويٍّ مُتنوّعٍ وجذّابٍ.

خامساً: توصيات عامة:

١. **الاستمرار في الدعوة وعدم اليأس:** الاستمرارُ في الدعوةِ إلى اللهِ تعالى وعدمُ اليأسِ من هدايةِ الناسِ.

٢. **الإخـــلاص في الـــدعوة:** الإخـــلاصُ للهِ تعـــالى في الـــدعوةِ، وعـــدمُ ابتغـــاءِ أيّ غرضٍ دُنيويّ.

٣. **الـــدعاء والتضـــرع إلى الله:** الـــدعاءُ والتضـــرعُ إلى اللهِ تعـــالى أن يُعـــينَ الدعاةَ ويُيسّرَ لهم طريقَ الدعوةِ.

نســألُ اللهَ تعــالى أن يُوفّقَنــا لمــا فيــهِ الخــيرُ والصــلاحُ، وأن يجعلَنــا مــن الــدعاةِ إليــهِ علــى بصــيرةٍ، وأن يُنفــعَ بهــذهِ التوصــياتِ ويجعلَهــا خالصــةً لوجهــهِ الكريمِ. وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

خاتمة الكتاب

بعــد هــذه الرحلــة المُفصّــلة في رحــابِ مــنهجِ التــدرجِ في الــدعوةِ الإســلاميةِ، مــن خــلالِ اســتعراضِ مفهومِــهِ وأهميتِــهِ وأسسِــهِ وقواعــدِهِ وتطبيقاتِــهِ في مُختلــفِ السـياقاتِ والأزمنـةِ، نصـلُ إلى خاتمـةٍ نُـوجزُ فيهـا أهـمّ مـا تمّ تناولُـهُ مـن نتـائجَ وتوصــياتٍ، مُؤكّــدينَ علــى أهميــةِ هــذا المــنهجِ في إنجــاحِ الــدعوةِ وتحقيــقِ أهدافِها الساميةِ.

نســألُ اللهَ تعــالى أن يُوفّقَنــا لمــا فيــهِ الخــيرُ والصــلاحُ، وأن يجعلَنــا مــن الــدعاةِ إليــهِ علــى بصــيرةٍ، وأن يُنفــعَ بهــذا الكتــابِ ويجعلَــهُ خالصًــا لوجهــهِ الكــريمِ، وأن يهديَ بهِ الضالينَ ويُثبّتَ بهِ المُهتدينَ.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.